سِرُ الغِنَى
في
خُلُقِ الرِّضا

في سؤال وجواب

تأليف

أبي طلحة

رمضان بن عطية بن عبد السلام

سر الغنى
في
خلق الرضا

لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه فى أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الأولى: ١٤٤٧هـ، ٢٠٢٥م

رقم الإيداع:

مقدمة المؤلف

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧٠).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

وبعد.

فَالْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الرِّضَا جَنَّةَ الْقُلُوبِ، وَرَاحَةَ النُّفُوسِ، وَمِفْتَاحَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.
يُعَدُّ الرِّضَا مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ أَجَلِّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَهُوَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الْيَقِينِ بِاللهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَبِهِ تَسْتَقِيمُ حَيَاةُ الْمُسْلِمِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.
وَهُوَ يُظْهِرُ قُوَّةَ الْإِيمَانِ، وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الله، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ التَّسْلِيمِ لله فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَسَبَبٌ رَئِيسِيٌّ فِي نَيْلِ السَّعَادَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَوْزِ بِرِضَا الله فِي الْآخِرَةِ.

فَفِي زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيهِ الشَّكْوَى، وَضَاقَ فِيهِ الصَّدْرُ بِمَا جَرَى، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَقْفَةِ رَاحٍ فِي ظِلَالِ الرِّضَا، وَسَكِينَةِ الْيَقِينِ، لِنُدْرِكَ أَنَّ الرَّاحَةَ لَيْسَتْ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ، وَلَا فِي رِفْعَةِ الْحَالِ، بَلْ فِي قَلْبٍ رَضِيَ، وَنَفْسٍ قَنِعَتْ، وَرُوحٍ إِلَى الله سَكَنَتْ.
فَالرِّضَا لَا يُعَدُّ فَقَطْ حَالَةً نَفْسِيَّةً، بَلْ هُوَ سُلُوكٌ إِيمَانِيٌّ يُجَسِّدُ مَدَى ارْتِبَاطِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَثِقَتِهِ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَهُوَ مَقَامٌ رَفِيعٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ، وَتَشَرَّبَ مَعَانِيَ التَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ.

وَقَدْ تَنَاوَلْتُ مَفْهُومَ الرِّضَا بِاعْتِبَارِهِ فَضِيلَةً إِيمَانِيَّةً عَظِيمَةً، مِنْ خِلَالِ بَيَانِ عِلَاقَتِهِ بِالصَّبْرِ، وَالْقَنَاعَةِ، وَالزُّهْدِ، وَمَوَاضِعِ التَّقَاطُعِ وَالتَّكَامُلِ بَيْنَ هَذِهِ

الْقِيَمِ.
وَكَذَلِكَ أَقْسَامَ الرِّضَا، مِنْ حَيْثُ الرِّضَا نَفْسِهِ، وَمِنْ حَيْثُ حَالُ الْعَبْدِ، بَدْءًا بِـ رِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللهِ ﷻ، وَرِضَا اللهِ عَنْ عِبَادِهِ، وَمُرُورًا بِالرِّضَا عَنِ النَّفْسِ، وَالرِّضَا عَنِ الْآخَرِينَ، مَعَ بَيَانِ مَا لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنْ مَعَانٍ وَأَحْكَامٍ وَآثَارٍ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ.

وَكَذَلِكَ تَوْضِيحُ مَرَاتِبِهِ، مُبَيِّنًا الْفَرْقَ بَيْنَ الرِّضَا الْوَاجِبِ، وَالْمُسْتَحَبِّ، وَالْمُحَرَّمِ الْمَذْمُومِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى كُلٍّ مِنْهَا، إِلَى جَانِبِ تَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى ثَمَرَاتِ الرِّضَا فِي حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، مِنْ طُمَأْنِينَةٍ، وَاسْتِقْرَارٍ نَفْسِيٍّ، وَحُسْنِ تَعَامُلٍ مَعَ أَقْدَارِ اللهِ.

وَخِتَامًا، يَسْتَعْرِضُ الْبَحْثُ أَهَمَّ الْوَسَائِلِ وَالطُّرُقِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى تَحْصِيلِ الرِّضَا، مِنْ خِلَالِ مَا وَرَدَ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَقْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.
هُوَ كِتَابٌ: أُهْدِيهِ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ ضَاقَ، ثُمَّ وَسِعَ، وَإِلَى كُلِّ نَفْسٍ سَئِمَتْ، ثُمَّ اطْمَأَنَّتْ، عَلَّهُ يَكُونُ زَادًا فِي دَرْبِ السَّالِكِينَ، وَبُشْرَى لِلصَّابِرِينَ، وَنُورًا فِي طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَأَسْأَلُهُ ﷻ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَإِيَّاكُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِنَ الرَّاضِينَ، الَّذِينَ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ رِضًا بِاللهِ وَعَنِ اللهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا رِضَاهُ ﷻ، فَإِنَّهُ غَايَتُنَا الْقُصْوَى.
كَمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتِي، وَيُحْسِنَ طَوِيَّتِي، وَيَتَقَبَّلَ عَمَلِي، وَيُنَجِّحَ أَمَلِي، فَقَدْ

قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ (آلِ عِمْرَانَ: ١٩٥).
وَأَنْ يُحْيِيَ بِهَذَا الْكِتَابِ قُلُوبًا غُلْفًا، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَيُسْمِعَ بِهِ آذَانًا صُمًّا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَمَوْلَاهُ.

وَمَا كَانَ مِنْ تَوْفِيقٍ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَإٍ أَوْ نِسْيَانٍ فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرَاءَ، وَالدِّينُ النَّصِيحَةُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ، وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ.

كتبه

أبو طلحة

رمضان بن عطية بن عبد السلام

مصر – الفيوم

ت/ ٠١٠١٣٤٩٨٠٩٨

س: عرف الرضا لغة واصطلاحا؟

الجواب:

الرِّضا: مصدرَ رَضِيَ يَرضَى رِضىً[١]، وهو مأخوذ من مادّة (ر ض و) الّتي تدلّ على خلاف السّخط.

والرضوان: بِالْكَسْرِ وَالضَّم بِمَعْنى الرضى.

والمرضاة مثله.

قَالَ الطَّيِّبِيّ: الرضْوَان هُوَ الرضى الْكثير، وَلما كَانَ أعظم الرضى رضى الرَّحْمَن خص لفظ الرضْوَان فِي الْقُرْآن بِمَا كَانَ من الله تَعَالَى[٢].

فالرضى القبول والتسليم.

واصطلاحا:

قيل الرضا: سرور القلب بِمُرِّ القضاء[٣].

ويمكن القول بأن الرضا: القَبُولُ الكَامِلُ وَالسَّكِينَةُ النَّاتِجَةُ عَنِ اليَقِينِ، وَهُوَ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ تُعَبِّرُ عَنِ التَّسْلِيمِ لِحُكْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٤٦).

(٢) قاله الكفوي في «الكليات» (ص٤٧٨).

(٣) قاله الجرجاني في «التعريفات» (ص١١١).

فَهُوَ: القَبُولُ الكَامِلُ مَعَ التَّسْلِيمِ لِحُكْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ وَالسُّرُورُ بِهِ.

أَوْ: قَبُولُ مَا قَسَمَهُ اللهُ لِعَبْدِهِ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ وَنَفْسٍ هَادِئَةٍ، فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ.

س: ما أركان الرضا؟

الجواب:

أَرْكَانُ الرِّضا ثَلاثَةٌ: أَنْ تَرْضى بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(١).

س: ما الفرق بين الرضا والتسليم والقبول؟

الجواب:

أما الرضا: قَبُولُ مَا قَسَمَهُ اللهُ لِعَبْدِهِ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ وَنَفْسٍ هَادِئَةٍ، فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، دون ضيق أو اعترض.

وأمَّا التَّسليمُ: فهُوَ الانقِيادُ لأمْرِ اللهِ وقَضائِهِ، وتَركُ الاعتراضِ، معَ الخُضُوعِ الكاملِ، ولو كانَ في النَّفْسِ كَراهةٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

وأمَّا القَبولُ: فهُوَ المُوافَقةُ الظَّاهِرَةُ لأمْرِ اللهِ وشَرعِهِ، والعَمَلُ بِهِ، دونَ لُزُومِ الطُّمأنينَةِ القَلبيَّةِ أوِ المَحبَّةِ.

والمُتَأمِّلُ يَجِدُ أنَّ التَّسليمَ والقَبولَ مِن أسس الرِّضا، والرضا ناتج عنهما.

الرِّضا: أعلَى المراتِبِ، لأنَّهُ يَتضمَّنُ القَبولَ والتَّسليمَ، وزيادةً: المَحبَّةَ والطُّمأنينَةَ.

التَّسليمُ: أَدنَى مِنَ الرِّضا، لأنَّهُ قد يَكونُ بِلا طُمأنينَةِ قَلبٍ، لكنْ مع كَفِّ الاعتراضِ ظاهِرًا وباطِنًا.

القَبولُ: أَقَلُّ مِنَ التَّسليمِ والرِّضا، لأنَّ الإنسانَ قد يَقبَلُ الأمرَ امتِثالًا فقط، دونَ انقِيادٍ باطِنِيٍّ أو رِضا.

س: اذكر طرفا من الأدلة من القرآن والسنة على الرضا؟

الجواب:

قال تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٨).

وَقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

وَعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»**(١).

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه الترمذي(٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وأبو يعلى (٤٢٥٣)، وابن بشران (٢٤٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٢١)، والبيهقي في «الآداب» (١٠٣٥)، وفي «الشعب» (٩٣٢٦)، وغيرهم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعا.

وسعد بن سنان ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم، وقال الحافظ في «التقريب» صدوق له أفراد.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٣٢٥) من طريق ابن وهب أخبرني ابن لهيعة وعمرو بن الحارث والليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد به.

فجمع ابن وهب بين ابن لهيعة والليث وعمرو بن الحارث، وجعله عن سنان بن سعد بدل سعد بن سنان.

وخطَّأ ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٩٥) ابنَ وهب في ذلك، وذكر زيادة في لفظه « وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» وقال: ولم يذكر الليث الصدمة الأولى وذكر الليث في هذا الإسناد إنما هو من عمل بن وهب جمع بين الليث، وعَمْرو بْن الحارث فحمل حديث أحدهما على صاحبه فقال عنهما جميعا عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عن سنان بْن سعد، عَن أَنَس

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»**(١).

وأخطا ابن وهب على الليث فإن الليث يقول عن سعد بْن سنان وقد أمليت صوابه عن الليث من حديث عاصم بْن علي عنه. اهـ

ويشهد له الحديث الآتي بعده أخرجه أحمد (٢٣٦٤١) عن محمود بن لبيد رفعه: **«إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»**.

ويشهد له كذلك أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه مرفوعا: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**.

(١) **إسناده قوي:** أخرجه إسماعيل بن جعفر في «أحاديثه» (٣٨٣) ومن طريقه أحمد في «المسند» (٢٣٦٤١)، و(٢٣٦٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٨٤) من طرق عَنْ عَمْرٍو، مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ به.

وهذا إسناد قوي لأجل عَمْرٍو بن أبي عمرو، مَوْلَى الْمُطَّلِبِ.

قال البيهقي: مرسل، وقال المنذري: رواته ثقات، وكذلك الهيثمي.

وقال الحافظ فى «الفتح» (١٠/ ١٣٣): رواته ثقات إلا أن محمود بن لبيد اختلف فى سماعه من النبي ﷺ، وقد رآه وهو صغير.

قلت: محمود بن لبيد رضي الله عنه، كان مميِّزاً في زمَنِ النبي ﷺ، ويدل على ذلك ما أخرجه أحمد (٢٣٦٢٤) وغيره بسند حسن عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَخِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: أَتَانَا

وَمِمَّا يَدْعُو الْمُؤْمِنَ إِلَى الرِّضَا بِالْقَضَاءِ تَحْقِيقُ إِيمَانِهِ بِمَعْنَى قوله ﷺ: عن صهيب رضي الله عنه مرفوعا: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(١).

«وفائِدَةُ الإيمانِ بالقَدَرِ عَظيمَةٌ جِدًّا، لأنَّ الإنسانَ إذا عَلِمَ أنَّ الشَّيءَ لابُدَّ أن يَقعَ كما أَمَرَ اللهُ استراحَ، فَإذا أُصيبَ بِضَرّاءَ صَبَرَ، وقالَ: هذا مِن عِندِ الله، وإن أُصيبَ بِسَرّاءَ شَكَرَ، وقالَ: هذا مِن عِندِ الله، وقد ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قالَ: «**عَجِبًا لأمرِ المُؤمِنِ إنَّ أمرَهُ كُلَّهُ خيرٌ، إن أَصابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ فكانَ خيرًا لهُ، وإن أَصابَتْهُ ضَرّاءُ صَبَرَ فكانَ خيرًا لهُ**» لأنَّ المُؤمِنَ يُؤمِنُ أنَّ كُلَّ شَيءٍ بِقَضاءِ الله، فيَكونُ دائِمًا في سُرورٍ ودائِمًا في انشِراحٍ، لأنَّه يَعلَمُ أنَّ ما أَصابَهُ فَإنَّهُ مِنَ اللهِ، إن كانَ ضَرّاءَ صَبَرَ وانتَظَرَ الفَرَجَ مِنَ اللهِ، ولَجَأَ إلى اللهِ في كَشفِ هذهِ

رَسُولُ الله ﷺ فَصَلَّى بِنَا الْمَغْرِبَ فِي مَسْجِدِنَا فَلَمَّا سَلَّمَ مِنْهَا قَالَ: «ارْكَعُوا هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ فِي بُيُوتِكُمْ» لِلسُّبْحَةِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ. فدل هذا على تمييزه في زمن النبي ﷺ.

ثم إن الصحابي غالباً إنما يروي عن صحابي، فمُرسَل الصحابي لا يضر.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

الضَّرّاءِ، إن كانَ سَرّاءَ شَكَرَ وحَمِدَ اللهَ، وعَلِمَ أنَّ ذلكَ لَمْ يَكُن بِحَولِهِ وَلا قُوَّتِهِ، ولكِن بِفَضلٍ مِنَ اللهِ وَرَحمَتِهِ»[١].

وَالرِّضَا لَيْسَ ضَعْفًا وَلَا اسْتِسْلَامًا، بَلْ هُوَ قُوَّةُ إِيمَانٍ، وَثِقَةٌ بِاللهِ، وَقَبُولٌ لِحُكْمِهِ بِعَيْنِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّسْلِيمِ.

وَهُوَ خُلُقُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَسَبِيلُ السُّعَدَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَلْنَسْعَ إِلَى الرِّضَا، وَلْنَتَرَبَّى عَلَيْهِ، وَلْنُعَلِّمْهُ أَبْنَاءَنَا، وَلْيَكُنْ لَنَا فِي ذَلِكَ فَوْزٌ عَظِيمٌ

.س: اذكر مكانة الرضا في الإسلام؟

الجواب:

الرِّضا مِن مَنازِلِ الإيمانِ، وثَمَراتِ اليَقينِ، ومَقاماتِ الإحسانِ، وهو بابُ اللهِ الأعظمُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرِّضَا بَاب الله الْأَعْظَمَ، وَجَنَّةَ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحَ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةَ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمَ الْعَابِدِينَ، وَقُرَّةَ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ[٢].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٨).

(٢) «مدارك السالكين» (٢/ ١٧٢).

وقال في موطنٍ آخر: الرِّضَا بَابُ الله الْأَعْظَمُ، وَمُسْتَرَاحُ الْعَارِفِينَ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا. فَجَدِيرٌ بِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ تَشْتَدَّ رَغْبَتُهُ فِيهِ، وَأَنْ لَا يَسْتَبْدِلَ بِغَيْرِهِ مِنْهُ(١).

مكانة الرضا في القرأن الكريم:

ومَكانَةُ الرِّضا في القُرآنِ الكَريمِ عَظيمةٌ، وقد وَرَدَ ذِكرُهُ في سِياقاتٍ مُتعدِّدةٍ، تُبيِّنُ أنَّهُ مِن أعلَى مَقاماتِ الإيمانِ، وسَببٌ مِن أسبَابِ رِضا اللهِ والجَنَّةِ، وهو يَدُلُّ على كَمالِ التَّوحيدِ وصِدقِ العُبوديَّةِ.

وها هيَ أبرَزُ المَواضِعِ التي تُظهِرُ مَكانَةَ الرِّضا في القُرآنِ الكَريمِ:

الرِّضا مُتبادَلٌ بَيْنَ الله وعِبادِهِ المُؤمِنينَ(٢): قالَ تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠، المائدة: ١١٩، المجادلة: ٢٢).

وهذِهِ أَعظَمُ مَنزِلةٍ: أنْ يَرضى اللهُ عنِ العَبدِ، ويَرضى العَبدُ عن رَبِّهِ، وهو مَقامُ السّابِقينَ والمُقَرَّبينَ.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٠٠).

(٢) مع العلم بالفارق بينهما، فإن رضى العباد عن الله واجب من حيث رضاهم به ﷻ رباً، ومحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبدينهم الذي ارتضى لهم شريعة ومنهاجاً.

وأما رضاه عنهم فتفضلٌ ومنةٌ واكرامٌ منه عليهم ﷻ، فإنه لو عذبهم جميعا لم يكن لهم ظالما ﷻ، ولكنه هو الكريم الواسع ﷻ.

رِضا الله غايَةٌ عَظيمةٌ في الجَنَّةِ: قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة:٧٢).

وبَعدَ ذِكرِ الجَنَّةِ ونَعيمِها، بَيَّنَ اللهُ أنَّ رِضاهُ عن عِبادِهِ هو أَعظَمُ مِنَ الجَنَّةِ نَفْسِها: قالَ تعالى: ﴿جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة).

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»**(١).

فَفي الحَديثِ أنَّ رِضَى اللهِ جَلَّ جَلالُهُ أَعظَمُ نِعمةٍ يُنعِمُ اللهُ بِها على عِبادِهِ، حتّى بَعدَ دُخولِ الجَنَّةِ.

الرِّضا صِفَةٌ لأَولِياءِ اللهِ المُؤمِنينَ: قالَ تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧–٢٨).

النَّفْسُ المُؤمِنَةُ الَّتي رَضِيَتْ باللهِ رَبًّا، وبِالإِسلامِ دِينًا، وبِالقَدَرِ قَضاءً، هيَ الَّتي تُنادى عِندَ المَوتِ أوِ القِيامةِ بِهذَا النِّداءِ الكَريمِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

الرِّضا شَرطٌ في الإيمانِ: قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤).

وَفي المُقابِلِ، الذينَ لَم يَرضَوا بِحُكمِ اللهِ وَعَدلِهِ، وَرَضَوا بِالأوهامِ، ضَلُّوا وَهَلَكوا.

فاللهُ لا يَرضى عَنِ الكافِرينَ، قالَ تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ (الزمر: ٧).

وهذا يَدُلُّ على أنَّ رِضا اللهِ لا يُنالُ إلاّ بِالإيمانِ والطَّاعةِ، وأنَّ اللهَ لا يَرضى لِعبادِهِ الكُفرَ والعِصيانَ.

الرِّضا دَليلُ الإيمانِ الكاملِ: قالَ تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ١١).

يَدُلُّ على أنَّ التَّوبةَ والرُّجوعَ إلى اللهِ تُرضي اللهَ عن العَبدِ، وتَدخلهُ في جَماعَةِ المُؤمنينَ.

لذا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَا لِيَ فِي الْأُمُورِ هُوًى سِوَى مَوَاقِعَ قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (١٠).

مكانة الرِّضا في السُّنة:

مكانةُ الرِّضا في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ عظيمةٌ، وهو مِن أعلَى مقاماتِ الإيمانِ، ويُعَدُّ مِن أسبابِ السَّعادةِ في الدُّنيا والنَّجاةِ في الآخرةِ.

وقد وَرَدَتْ أحاديثُ نَبويَّةٌ كثيرةٌ تُبيِّنُ فَضْلَ الرِّضا باللهِ، وبِرِضاهُ عن عبادِهِ، والرِّضا بقضائِهِ وقَدَرِهِ.

ومِن أبرَزِ مَعالِمِ مكانةِ الرِّضا في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ:

أنَّ الرِّضا سَبَبٌ لِمَحبَّةِ الله: فَعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»** وهو حديث ثابت تقدم.

وفيهِ أنَّ الرِّضا عندَ البَلاءِ مِن علاماتِ الإيمانِ ومَحبَّةِ اللهِ، ومَن رَضِيَ بِقَضاءِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عنهُ.

الرِّضا يَجْلِبُ الطُّمأنينةَ والسَّعادةَ: قال رسول الله ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(١).

وفيهِ أنَّ الرِّضا هو طَريقٌ لِتَذَوُّقِ حَلاوَةِ الإيمانِ، والرّاحَةِ النَّفسيَّةِ والاِطْمِئنانِ.

الرِّضا مِن صِفاتِ أهلِ الجَنَّةِ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

فَفِيهِ أنَّ الرِّضا مِن أَعْظَمِ النَّعيمِ في الجَنَّةِ، ورِضا اللهِ هو الغايةُ القُصوى.

الرِّضا مُرتَبِطٌ بالقَضاءِ والقَدَرِ:

الرِّضا هو ثَمَرةٌ مِن ثِمارِ الإيمانِ الحَقيقيِّ بالقَدَرِ، ومَن لَم يَرضَ بِقَدَرِ اللهِ فَتَسَخَّطَ أوِ اعْتَرَضَ، فَقَد نَقَصَ إيمانُهُ أو فَقَدَهُ في هذا البابِ، كُلٌّ على حَسَبِهِ. فليَعْلَمِ العَبدُ أَنَّ مَا أَخْطَأَه لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَه، وَمَا أَصَابَه لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَه.

ولِيَعْلَمِ العَبدُ المُؤمِنُ أنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، فَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(٢).

وَإِنْ كانَ ظاهِرُ الحَديثِ يَتَحَدَّثُ عنِ الصَّبرِ والشُّكرِ، إِلَّا أنَّ الرِّضا هو رُوحُ ذلكَ كُلِّهِ، فمَن رَضِيَ بِقَضاءِ اللهِ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ نالَ الخَيْرَ في الحالَتَيْنِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

س: هَلِ الرِّضا صِفَةٌ مِن صِفاتِ اللّهِ ﷻ؟

الجواب:

نَعَمْ، الرِّضا مِن صِفاتِ الله ﷻ الفِعْلِيَّةِ، وَهي ثابتَةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ. وهي مَطْلَبُ كُلِّ عابِدٍ، وَغايةُ كُلِّ سالِكٍ مِن طاعَتِهِمْ وَعِباداتِهِمْ.

وَمِن الأدْعِيَةِ المأْثورَةِ التي يَدْعُو بها طالِبُ الرِّضا في أَرْجى الأوقاتِ ومَظانِّ إجابَةِ الدُّعاءِ: «اللَّهُمَّ إنا نَسأَلُكَ رِضاكَ والجَنَّةَ، وَنَعوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ والنَّارِ»، فالرِّضى عَنْهُم في دارِ الكَرامَةِ وَعَدَمِ السُّخْطِ عَلَيْهِم بَعدَ الرِّضى مَطْلَبٌ لَيْسَ بَعْدَهُ مَطْلَبٌ.

قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٨).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح:١٨).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: **«اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»**[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

فَتَأَمَّلْ ذِكْرَ اسْتِعَاذَتِهِ ﷺ بِصِفَةِ الرِّضَا مِنْ صِفَةِ السُّخْطِ وَبِفِعْلِ الْمُعَافَاةِ مِنْ فِعْلِ الْعُقُوبَةِ، فَالْأَوَّلُ لِلصِّفَةِ، وَالثَّانِي لِأَثَرِهَا الْمُتَرَتِّبِ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَبَطَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، لَا إِلَى غَيْرِهِ، فَمَا أَعُوذُ مِنْهُ وَاقِعٌ بِمَشِيئَتِكَ وَإِرَادَتِكَ، وَمَا أَعُوذُ بِهِ مِنْ رِضَاكَ وَمُعَافَاتِكَ هُوَ بِمَشِيئَتِكَ وَإِرَادَتِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْضَى عَنْ عَبْدِكَ وَتُعَافِيَهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَغْضَبَ عَلَيْهِ وَتُعَاقِبَهُ، فَإِعَاذَتِي مِمَّا أَكْرَهُ وَأَحْذَرُ، وَمَنْعُهُ أَنْ يَحِلَّ بِي هُوَ بِمَشِيئَتِكَ أَيْضًا، فَالْمَحْبُوبُ وَالْمَكْرُوهُ كُلُّهُ بِقَضَائِكَ وَمَشِيئَتِكَ، فَعِيَاذِي بِكَ مِنْكَ عِيَاذِي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَإِحْسَانِكَ مِمَّا يَكُونُ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ وَعَدْلِكَ وَحِكْمَتِكَ، فَلَا أَسْتَعِيذُ بِغَيْرِكَ مِنْ غَيْرِكَ، وَلَا أَسْتَعِيذُ إِلَّا بِكَ مِنْ شَيْءٍ هُوَ صَادِرٌ عَنْ مَشِيئَتِكَ وَخَلْقِكَ، بَلْ هُوَ مِنْكَ، وَلَا أَسْتَعِيذُ بِغَيْرِكَ مِنْ شَيْءٍ هُوَ صَادِرٌ عَنْ مَشِيئَتِكَ وَقَضَائِكَ، بَلْ أَنْتَ الَّذِي تُعِيذُنِي بِمَشِيئَتِكَ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ بِمَشِيئَتِكَ، فَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ[1].

س: مَا حُكْمُ الرِّضَا؟

الجواب:

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ، مُؤَكَّدٌ اسْتِحْبَابُهُ[2].

---

(١) قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/ ٢٦٧).

(٢) حكاه ابن القيم في «مدارك السالكين» (ص١٦٩).

وَذَلِكَ لِأَنَّ الرضا لَمْ يَجِئِ الْأَمْرُ بِهِ، كَمَا جَاءَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ. وَإِنَّمَا جَاءَ الثَّنَاءُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَمَدْحِهِمْ.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي أَصَحِّ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ إِنَّمَا الْوَاجِبُ الصَّبْرُ وَذَكَرَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات: ١٥)[1].

س: مَا الحِكْمَةُ فِي استِحبَابِهِ وعَدَمِ إيجَابِهِ عَلَى العَبْدِ؟

الجواب:

الحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ والله أَعْلَمُ، لِعِزَّتِهِ وَعَدَمِ إِجَابَةِ أَكْثَرِ النُّفُوسِ لَهُ، وَصُعُوبَتِهِ عَلَيْهَا - لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ. رَحْمَةً بِهِمْ، وَتَخْفِيفًا عَنْهُمْ. لَكِنْ نَدْبَهُمْ إِلَيْهِ. وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ رِضَاهُ عَنْهُمْ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا. فَمَنْ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. بَلْ رِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللهِ مِنْ نَتَائِجِ رِضَا اللهِ عَنْهُ. فَهُوَ مَحْفُوفٌ بِنَوْعَيْنِ مِنْ رِضَاهُ عَنْ عَبْدِهِ: رِضًا قَبْلَهُ،

وقال: وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِهِ عَلَى قَوْلَيْنِ.وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَحْكِيهِمَا عَلَى قَوْلَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ. وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى الْقَوْلِ بِاسْتِحْبَابِهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَجِئِ الْأَمْرُ بِهِ، كَمَا جَاءَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ. وَإِنَّمَا جَاءَ الثَّنَاءُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَمَدْحِهِمْ.

قَالَ: وَأَمَّا مَا يُرْوَى مِنَ الْأَثَرِ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَائِي. فَهَذَا أَثَرٌ إِسْرَائِيلِيٌّ، لَيْسَ يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) حكاه عنه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٣).

أَوْجَبَ لَهُ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ، وَرِضًا بَعْدَهُ. هُوَ ثَمَرَةُ رِضَاهُ عَنْهُ. وَلِذَلِكَ كَانَ الرِّضَا بَابَ الله الْأَعْظَمَ، وَجَنَّةَ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحَ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةَ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمَ الْعَابِدِينَ، وَقُرَّةَ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا: أَنْ يَلْزَمَ مَا جَعَلَ اللهُ رِضَاهُ فِيهِ، فَإِنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا وَلَا بُدَّ(١).

س: هل الرضا منزلة من منازل الإيمان، وكيف وصفها العلماء؟

الجواب:

نَعَمْ، الرِّضا مِن مَنازِلِ الإيمانِ، وَقد ذَكَرَ ابنُ القَيِّم ﷺ في كِتابِهِ «مَدارجُ السّالِكينَ» مَنزِلَةَ الرِّضا مِن مَنازِلِ قَولِهِ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وَقَالَ ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**. وهوحديث ثابت تقدم.

وَقَالَ ﷺ: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»**(٢).

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَإِلَيْهِمَا يَنْتَهِي.

---

(١) قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٦).

وَقَدْ تَضَمَّنَا الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادَ لَهُ، وَالرِّضَا بِدِينِهِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُ.

وَمَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ: فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا، وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ، وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ وَالِامْتِحَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يُخَالِفُ هَوَى النَّفْسِ وَمُرَادَهَا.

مِنْ ذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الرِّضَا كَانَ لِسَانُهُ بِهِ نَاطِقًا، فَهُوَ عَلَى لِسَانِهِ لَا عَلَى حَالِهِ.

فَالرِّضَا بِإِلَهِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ، وَخَوْفَهُ، وَرَجَائَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّبَتُّلَ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابَ قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ، فَعَلَ الرَّاضِي بِمَحْبُوبِهِ كُلَّ الرِّضَا، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ. وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

فَالْأَوَّلُ: يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ.

وَالثَّانِي: يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الِانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَتَلَقَّى الْهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ.، وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ أَلْبَتَّةَ، لَا فِي شَيْءٍ

مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَذْوَاقِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَقَامَاتِهِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، لَا يَرْضَى فِي ذَلِكَ بِحُكْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ كَانَ تَحْكِيمُهُ غَيْرَهُ مِنْ بَابِ غِذَاءِ الْمُضْطَرِّ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يُقِيتُهُ إِلَّا مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ.

وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ: أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التُّرَابِ الَّذِي إِنَّمَا يُتَيَمَّمُ بِهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الطَّهُورِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِهِ: فَإِذَا قَالَ، أَوْ حَكَمَ، أَوْ أَمَرَ، أَوْ نَهَى: رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ، وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا، وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاهَا، أَوْ قَوْلِ مُقَلِّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ[1].

س: اذكر درجات الرضا؟

الجواب:

دَرَجاتُ الرِّضا ثَلاثٌ، ذَكَرَها ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: رِضَا الْعَامَّةِ:

وَهِيَ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا، وَتَسَخُّطُ عِبَادَةِ مَا دُونِهِ، وَهَذَا قُطْبُ رَحَى الْإِسْلَامِ. وَهُوَ يُطَهِّرُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

---

(١) قاله ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٢).

الرِّضَا بِالله رَبًّا: أَنْ لَا يَتَّخِذَ رَبًّا غَيْرَ الله تَعَالَى يَسْكُنُ إِلَى تَدْبِيرِهِ، وَيُنْزِلُ بِهِ حَوَائِجَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٦٤). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سَيِّدًا وَإِلَهًا.

يَعْنِي فَكَيْفَ أَطْلُبُ رَبًّا غَيْرَهُ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَقَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٤) يَعْنِي مَعْبُودًا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا وَمَلْجَأً، وَهُوَ مِنَ الْمُوَالَاةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْحُبَّ وَالطَّاعَةَ. وَقَالَ فِي وَسَطِهَا ﴿أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ (الأنعام: ١١٤) أَيْ: أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي مَنْ يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَنَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ؟ وَهَذَا كِتَابُهُ سَيِّدُ الْحُكَّامِ، فَكَيْفَ نَتَحَاكَمُ إِلَى غَيْرِ كِتَابِهِ؟ وَقَدْ أَنْزَلَهُ مُفَصَّلًا، مُبَيَّنًا كَافِيًا شَافِيًا.

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ حَقَّ التَّأَمُّلِ، رَأَيْتَهَا هِيَ نَفْسَ الرِّضَا بِالله رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، وَرَأَيْتَ الْحَدِيثَ يُتَرْجِمُ عَنْهَا، وَمُشْتَقًّا مِنْهَا.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرْضَى بِالله رَبًّا، وَلَا يَبْغِي رَبًّا سِوَاهُ، لَكِنَّهُ لَا يَرْضَى بِهِ وَحْدَهُ وَلِيًّا وَنَاصِرًا، بَلْ يُوَالِي مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَهُ إِلَى الله، وَأَنَّ مُوَالَاتَهُمْ كَمُوَالَاةِ خَوَاصِّ الْمَلِكِ، وَهَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ. بَلِ التَّوْحِيدُ: أَنْ لَا يَتَّخِذَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ وَصْفِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ.

وَهَذَا غَيْرُ مُوَالَاةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَمِنْ تَمَامِ مُوَالَاتِهِ، فَمُوَالَاةُ أَوْلِيَائِهِ لَوْنٌ وَاتِّخَاذُ الْوَلِيِّ مِنْ دُونِهِ لَوْنٌ، وَمَنْ لَمْ يَفْهَمِ الْفُرْقَانَ بَيْنَهُمَا فَلْيَطْلُبِ التَّوْحِيدَ مِنْ أَسَاسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ أَصْلُ التَّوْحِيدِ وَأَسَاسُهُ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَبْتَغِي غَيْرَهُ حَكَمًا، يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ، وَيُخَاصِمُ إِلَيْهِ، وَيَرْضَى بِحُكْمِهِ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ الثَّلَاثُ هِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيدِ: أَنْ لَا يَتَّخِذَ سِوَاهُ رَبًّا، وَلَا إِلَهًا، وَلَا غَيْرَهُ حَكَمًا.

وَتَفْسِيرُ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا: أَنْ يَسْخَطَ عِبَادَةَ مَا دُونَهُ، هَذَا هُوَ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا. وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا، فَمَنْ أُعْطِيَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا حَقُّهُ سُخْطُ عِبَادَةِ مَا دُونَهُ قَطْعًا، لِأَنَّ الرِّضَا بِتَجْرِيدِ رُبُوبِيَّتِهِ يَسْتَلْزِمُ تَجْرِيدَ عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ قُطْبُ رَحَى الْإِسْلَامِ: يَعْنِي أَنَّ مَدَارَ رَحَى الْإِسْلَامِ عَلَى أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يَسْخَطَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ الْحُبُّ مَعَ الذُّلِّ. فَكُلُّ مَنْ ذَلَلْتَ لَهُ وَأَطَعْتَهُ وَأَحْبَبْتَهُ دُونَ اللهِ، فَأَنْتَ عَابِدٌ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ يُطَهِّرُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

يَعْنِي أَنَّ الشِّرْكَ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ، وَأَصْغَرُ، فَهَذَا الرِّضَا يُطَهِّرُ صَاحِبَهُ مِنَ الْأَكْبَرِ.

وَأَمَّا الْأَصْغَرُ: فَيُطَهِّرُ مِنْهُ نُزُولُهُ مَنْزِلَةَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥).

وَهُوَ يَصِحُّ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ: أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْعَبْدِ، وَأَوْلَى الْأَشْيَاءِ بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقَّ الْأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ.

يَعْنِي أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الرِّضَا إِنَّمَا يَصِحُّ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ أَيْضًا.

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الْعَبْدِ. وَهَذِهِ تُعْرَفُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ أَيْضًا.

أَحَدُهَا: أَنْ تَسْبِقَ مَحَبَّتُهُ إِلَى الْقَلْبِ كُلَّ مَحَبَّةٍ. فَتَتَقَدَّمَ مَحَبَّتُهُ الْمِحَابَّ كُلَّهَا.

الثَّانِي: أَنْ تَقْهَرَ مَحَبَّتُهُ كُلَّ مَحَبَّةٍ. فَتَكُونَ مَحَبَّتُهُ إِلَى الْقَلْبِ سَابِقَةً قَاهِرَةً، وَمَحَبَّةُ غَيْرِهِ مُتَخَلِّفَةً مَقْهُورَةً مَغْلُوبَةً مُنْطَوِيَةً فِي مَحَبَّتِهِ.

الثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ غَيْرِهِ تَابِعَةً لِمَحَبَّتِهِ. فَيَكُونَ هُوَ الْمَحْبُوبَ بِالذَّاتِ وَالْقَصْدَ الْأَوَّلَ، وَغَيْرُهُ مَحْبُوبًا تَبَعًا لِحُبِّهِ. كَمَا يُطَاعُ تَبَعًا لِطَاعَتِهِ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْمُطَاعُ الْمَحْبُوبُ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي كَوْنِهِ أَوْلَى الْأَشْيَاءِ بِالتَّعْظِيمِ وَالطَّاعَةِ أَيْضًا.

فَالْحَاصِلُ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ الْمَحْبُوبَ الْمُعَظَّمَ الْمُطَاعَ، فَمَنْ لَمْ يُحِبَّهُ وَلَمْ يُطِعْهُ، وَلَمْ يُعَظِّمْهُ: فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ عَلَيْهِ.

وَمَتَى أَحَبَّ مَعَهُ سِوَاهُ، وَعَظَّمَ مَعَهُ سِوَاهُ، وَأَطَاعَ مَعَهُ سِوَاهُ: فَهُوَ مُشْرِكٌ. وَمَتَى أَفْرَدَهُ وَحْدَهُ بِالْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ وَالطَّاعَةِ فَهُوَ عَبْدٌ مُوَحِّدٌ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الرِّضَا عَنِ اللهِ:

وَهذِهِ الدَّرَجَةُ هِيَ ثَمَرَةُ الدَّرَجَةِ الأُولَى.

وَالرِّضَا عَنْهُ ﷻ: فَهُوَ رِضَا الْعَبْدِ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِ، وَيُعْطِيهِ إِيَّاهُ، وَلِهَذَا لَمْ يَجِئْ إِلَّا فِي الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧)، فَهَذَا بِرِضَاهَا عَنْهُ لِمَا حَصَلَ لَهَا مِنْ كَرَامَتِهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٨).

وَالرِّضَا بِهِ: أَصْلُ الرِّضَا عَنْهُ، وَالرِّضَا عَنْهُ: ثَمَرَةُ الرِّضَا بِهِ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الرِّضَا بِهِ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَالرِّضَا عَنْهُ: مُتَعَلِّقٌ بِثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّقَ ذَوْقَ طَعْمِ الْإِيمَانِ بِمَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَلَمْ يُعَلِّقْهُ بِمَنْ رَضِيَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**».

فَجَعَلَ الرِّضَا بِهِ قَرِينَ الرِّضَا بِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولُ الْإِسْلَامِ، الَّتِي لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا وَعَلَيْهَا.

وَأَيْضًا: فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَخَوْفَهُ وَرَجَاءَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَالصَّبْرَ لَهُ وَبِهِ.

وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِهِ: يَتَضَمَّنُ رُؤْيَةَ كُلِّ مَا مِنْهُ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا، وَإِنْ سَاءَ عَبْدُهُ، فَالرِّضَا بِهِ يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالرِّضَا بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

وَالرِّضَا بِالْإِسْلَامِ دِينًا: يَتَضَمَّنُ الْتِزَامَ عُبُودِيَّتِهِ، وَطَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ. فَجَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الدِّينَ كُلَّهُ.

وَأَيْضًا: فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ اتِّخَاذَهُ مَعْبُودًا دُونَ مَا سِوَاهُ، وَاتِّخَاذَهُ وَلِيًّا وَمَعْبُودًا، وَإِبْطَالَ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ (الأنعام: ١١٤)، وَقَالَ ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ (الأنعام: ١٤)، وَقَالَ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، فَهَذَا هُوَ عَيْنُ الرِّضَا بِهِ رَبًّا.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ جَعَلَ حَقِيقَةَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا: أَنْ يَسْخَطَ عِبَادَةَ مَا دُونَهُ، فَمَتَى سَخِطَ الْعَبْدُ عِبَادَةَ مَا سِوَى اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ، حُبًّا وَخَوْفًا، وَرَجَاءً وَتَعْظِيمًا، وَإِجْلَالًا - فَقَدْ تَحَقَّقَ بِالرِّضَا بِهِ رَبًّا، الَّذِي هُوَ قُطْبُ رَحَى الْإِسْلَامِ.

وَإِنَّمَا كَانَ قُطْبَ رَحَى الدِّينِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَحْوَالِ: إِنَّمَا تَنْبَنِي عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ فِي الْعِبَادَةِ، وَسُخْطِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ

هَذَا الْقُطْبُ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحًى تَدُورُ عَلَيْهِ، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ هَذَا الْقُطْبُ ثَبَتَتْ لَهُ الرَّحَى، وَدَارَتْ عَلَى ذَلِكَ الْقُطْبِ، فَيَخْرُجُ حِينَئِذٍ مِنْ دَائِرَةِ الشِّرْكِ إِلَى دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، فَتَدُورُ رَحَى إِسْلَامِهِ وَإِيمَانِهِ عَلَى قُطْبِهَا الثَّابِتِ اللَّازِمِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ جَعَلَ حُصُولَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الرِّضَا مَوْقُوفًا عَلَى كَوْنِ الْمَرْضِيِّ بِهِ رَبًّا ﷻ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَوْلَى الْأَشْيَاءِ بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقَّ الْأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا يَجْمَعُ قَوَاعِدَ الْعُبُودِيَّةِ، وَيُنَظِّمُ فُرُوعَهَا وَشُعَبَهَا...

وَإِنَّمَا تَرَتَّبَ هَذَا وَهَذَا عَلَى الرِّضَا بِهِ وَحْدَهُ رَبًّا، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عُبُودِيَّةِ مَا سِوَاهُ، وَمِيلِ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ قُوَى الْمُحِبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ.

وَرِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ تَابِعٌ لِهَذَا الرِّضَا بِهِ، فَمَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا رَضِيَهُ اللهُ لَهُ عَبْدًا. وَمَنْ رَضِيَ عَنْهُ فِي عَطَائِهِ وَمَنْعِهِ وَبَلَائِهِ وَعَافِيَتِهِ: لَمْ يَنَلْ بِذَلِكَ دَرَجَةَ رِضَا الرَّبِّ عَنْهُ، إِنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا، وَبِنَبِيِّهِ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَرْضَى عَنِ اللهِ رَبِّهِ فِيمَا أَعْطَاهُ وَفِيمَا مَنَعَهُ، وَلَكِنْ لَا يَرْضَى بِهِ وَحْدَهُ مَعْبُودًا وَإِلَهًا.

وَلِهَذَا إِنَّمَا ضَمِنَ رِضَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَنْ رَضِيَ بِهِ رَبًّا. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا: إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الرِّضَا بِرِضَا اللهِ:

وهذه الدرجة أعلى من السابقتين، فَلَا يَرَى الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ سُخْطًا، وَلَا رِضًا. فَيَبْعَثُهُ عَلَى تَرْكِ التَّحَكُّمِ، وَحَسْمِ الِاخْتِيَارِ، وَإِسْقَاطِ التَّمْيِيزِ، وَلَوْ أُدْخِلَ النَّارَ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّرَجَةُ أَعْلَى مِمَّا قَبْلَهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ عِنْدَهُ: لِأَنَّهَا دَرَجَةُ صَاحِبِ الْجَمْعِ، الْفَانِي بِرَبِّهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَمَّا مِنْهَا، قَدْ غَيَّبَهُ شَاهِدُ رِضَا اللهِ بِالْأَشْيَاءِ فِي وُقُوعِهَا عَلَى مُقْتَضَى مَشِيئَتِهِ عَنْ شَاهِدِ رِضَاهُ هُوَ.

---

(١) الحديث ضعيف أخرجه أحمد (١٨٩٦٧) وغيره.

والثابت في صحيح مسلم (٣٨٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»

وقال ابن القيم بعد شرح كلام الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ: هُوَ فِي رِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ. كَمَا هُوَ فِي تَوَكُّلِهِ، وَتَفْوِيضِهِ، وَتَسْلِيمِهِ، وَإِخْلَاصِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِ بِرَبِّهِ، لَا بِنَفْسِهِ.

فَيَرَى ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عَيْنِ الْمِنَّةِ وَالْفَضْلِ، مُسْتَعْمَلًا فِيهِ. قَدْ أُقِيمَ فِيهِ. لَا أَنَّهُ قَدْ قَامَ هُوَ بِهِ. فَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ مَشْهَدِ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير:٢٨) وَمَشْهَدِ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩)، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

س: اذكر ملخص مقارنة بين درجات الرضا السابق ذكرها؟

الجواب:

أوّلًا: الدَّرَجةُ الأُولى – رِضا العامَّة.

تعريفُها:

– أن يرضى العبدُ بما قَسَمهُ اللهُ له من رِزقٍ، حالٍ، صِحَّةٍ، وغيرِها.

– لا يَعترِضُ على الخَلقِ، ولا على القضاءِ، ولكنْ رِضاهُ قد يكونُ ناتجًا عن ضَعفِ بَصيرتِه.

صِفاتُها:

– رِضا في الظّاهِر.

- يقومُ على التَّسليمِ، لا على الفَهم.

- قد يَصحَبهُ سُكونٌ، لكنْ دونَ طُمأنينةٍ قَلبيَّةٍ عَميقة.

مثال: رَجلٌ فقيرٌ لا يَشكو، لكنَّهُ يَتمنّى حالَ الأغنياءِ، قلبُهُ فيهِ تسليمٌ، لكنْ فيهِ تَمنٍّ واعتراضٌ داخليٌّ خَفيٌّ.

ثانيًا: الدَّرَجةُ الثّانية رِضا الخاصَّة -الرِّضا عن الله-.

تعريفُها:

- أن يرضى العبدُ عن ربِّهِ، لا فقط عن قِسمتِه.

- يَعتقِدُ أنَّ اللهَ أَحكمُ الحاكمين، وأرحمُ الراحمين، وأنَّ ما اختارَهُ اللهُ له خيرٌ ممَّا يَختارُهُ لنَفسِه.

صِفاتُها:

- طُمأنينةٌ قلبيَّةٌ :لا يَضطربُ عندَ البلاءِ.

- انشِراحُ الصَّدر :يَقبَلُ المُصيبةَ كقَبولِه للنِّعمة.

- سُكونُ النَّفس :لا يَضجَرُ ولا يَتمنّى غيرَ ما قَضى اللهُ.

مراتِبُ داخِلَ الدَّرَجة:

يقولُ ابنُ القَيِّم، من مُلخَّصِ كلامِه: إنَّ لهذهِ الدَّرَجةِ ثلاثَ أحوالٍ بِحَسَبِ استِعدادِ العَبدِ:

١- روحُ الرِّضا :أعلى مَرتبةٍ، فيها استِبشارٌ وراحةٌ داخليَّةٌ.

٢- العَينُ باليَقين :رِضا مَبنيٌّ على فَهمِ حِكمةِ الله.

٣- لُطفُ الصَّبر :صَبرٌ راضٍ، لا تَصبُّرٌ مُتكلَّف.

مثالٌ قُرآنيٌّ: قال تعالى :﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عبدٌ فقَدَ مالَه، فلم يَتسخَّط، بل قالَ: «هذا تدبيرُ ربِّي، فيهِ خيرٌ لا أراهُ الآن»، وقلبُهُ مُطمَئنٌّ.

ثالثًا: الدَّرَجةُ الثَّالثة – رِضا خاصَّةِ الخاصَّة –الرِّضا برِضى الله–.

تعريفُها:

– فَناءُ إرادةِ العَبدِ في إرادةِ الله.

– لا يَرضى لنَفسِه شيئًا، بلْ ما يَرضاهُ اللهُ هو رِضاهُ، سواءٌ فُقِدَ المالُ، أو ضُرِبَ الجَسدُ، أو أُخِذَ الحبيبُ.

صِفاتُها:

– لا يرى لنفسِه حقًّا في الاختيار.

– لا يَلتفِتُ إلى لذَّةٍ أو ألَم.

– يَعيشُ في مقامِ التَّسليمِ المُطلَق.

س: هَلِ الرِّضا مِمَّا يَكْتَسِبُهُ الإنسانُ، أم لا يَكونُ إلا مَوْهُوبًا مِنَ اللهِ؟

الجواب:

اخْتَلَفَ فِيهَا أَرْبَابُ السُّلُوكِ عَلَى ثَلَاثِ طُرُقٍ.

فَالْخُرَاسَانِيُّونَ قَالُوا: الرِّضَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَقَامَاتِ – المكتسبات – وَهُوَ نِهَايَةُ التَّوَكُّلِ.

فَعَلَى هَذَا: يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ بِاكْتِسَابِهِ.

وَالْعِرَاقِيُّونَ قَالُوا: هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَحْوَالِ – المواهب –. وَلَيْسَ كَسْبِيًّا لِلْعَبْدِ، بَلْ هُوَ نَازِلَةٌ تَحِلُّ بِالْقَلْبِ كَسَائِرِ الْأَحْوَالِ.

وَحَكَمَتْ فِرْقَةٌ ثَالِثَةٌ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ. مِنْهُمُ الْقُشَيْرِيُّ – صَاحِبُ الرِّسَالَةِ – وَغَيْرُهُ، فَقَالُوا: يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، بِأَنْ يُقَالَ: بِدَايَةُ الرِّضَا مُكْتَسَبَةٌ لِلْعَبْدِ. وَنِهَايَتُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْمواهب، وَلَيْسَتْ مُكْتَسَبَةً، فَأَوَّلُهُ مُكتَسَبٌ، وَنِهَايَتُهُ موهوبٌ.

وَاحْتَجَّ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْمكتسبات: بِأَنَّ اللهَ مَدَحَ أَهْلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ. فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مَقْدُورٌ لَهُمْ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ**»(١).

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَإِلَيْهِمَا يَنْتَهِي، وَقَدْ تَضَمَّنَا الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادَ لَهُ، وَالرِّضَا بِدِينِهِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُ، وَمَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ: فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا. وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ.

وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ وَالِامْتِحَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يُخَالِفُ هَوَى النَّفْسِ وَمُرَادَهَا، مِنْ ذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الرِّضَا كَانَ لِسَانُهُ بِهِ نَاطِقًا، فَهُوَ عَلَى لِسَانِهِ لَا عَلَى حَالِهِ.

وَالتَّحْقِيقُ فِي الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الرِّضَا كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ سَبَبِهِ، مُوهَبِيٌّ بِاعْتِبَارِ حَقِيقَتِهِ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ بِالْكَسْبِ لِأَسْبَابِهِ، فَإِذَا تَمَكَّنَ فِي أَسْبَابِهِ وَغَرَسَ شَجَرَتَهُ: اجْتَنَى مِنْهَا ثَمَرَةَ الرِّضَا، فَإِنَّ الرِّضَا آخِرُ التَّوَكُّلِ، فَمَنْ رَسَّخَ قَدَمَهُ فِي التَّوَكُّلِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ: حَصَلَ لَهُ الرِّضَا وَلَا بُدَّ، وَلَكِنْ لِعِزَّتِهِ وَعَدَمِ إِجَابَةِ أَكْثَرِ النُّفُوسِ لَهُ، وَصُعُوبَتِهِ عَلَيْهَا - لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ. رَحْمَةً بِهِمْ، وَتَخْفِيفًا عَنْهُمْ. لَكِنْ نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ رِضَاهُ عَنْهُمْ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا. فَمَنْ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَلْ رِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللهِ مِنْ نَتَائِجِ رِضَا اللهِ عَنْهُ، فَهُوَ مَحْفُوفٌ بِنَوْعَيْنِ مِنْ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٦).

رِضَاهُ عَنْ عَبْدِهِ: رِضًا قَبْلَهُ، أَوْجَبَ لَهُ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ، وَرِضًا بَعْدَهُ، هُوَ ثَمَرَةُ رِضَاهُ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ الرِّضَا بَابَ اللهِ الْأَعْظَمَ، وَجَنَّةَ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحَ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةَ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمَ الْعَابِدِينَ، وَقُرَّةَ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا: أَنْ يَلْزَمَ مَا جَعَلَ اللهُ رِضَاهُ فِيهِ، فَإِنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا وَلَا بُدَّ(١).

أَقُولُ وَبِاللهِ التَّوفِيقُ:

الأَصْلُ فِي الرِّضا أَنَّهُ مِن أَعْمالِ القُلوبِ الَّتي لا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَوفيقِ اللهِ، قال تعالى ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البينة:٨).

ومَعَ كَوْنِهِ مَوْهُوبًا إِلَّا أَنَّ العَبْدَ مَأْمورٌ بِالسَّعْيِ لِتَحْقيقِهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ، وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ»**(٢).

---

(١) قاله ابن القيم في «مدارك السالكين»

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤) وغيره حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وهو ابن علية، عَنْ يُونُسَ هو ابن عبيد البصري، حَدَّثَنِي أَبُو الْعَلَاءِ بْنُ الشِّخِّيرِ، حَدَّثَنِي أَحَدُ بَنِي سُلَيْمٍ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ به. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات وجهالة الصحابي لا تضر.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٧): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وهو كما قال سوى الصحابي.

فَبِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّفَكُّرِ فِي نِعَمِ الله، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى تَرْكِ التَّسَخُّطِ، يُمْكِنُ لِلْعَبْدِ أَنْ يُرَبِّيَ قَلْبَهُ وَنَفْسَهُ عَلَى الرِّضَا.

فَأَصْلُهُ تَوْفِيقٌ مِنَ الله وَهِبَةٌ، وَيُكْتَسَبُ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالتَّدَرُّبِ عَلَيْهِ حَتَّى يُصْبِحَ خُلُقًا رَاسِخًا فِي الْقَلْبِ.

وَإِلَيْكَ مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ قالَ: «**مَنْ كَانَ مِنكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ...**»[1].

هذِهِ أَعْلَى دَرَجَاتِ الرِّضَا بِقَضَاءِ الله عَزَّ وَجَلَّ، الثَّبَاتُ عِندَ الشَّدَائِدِ، رَغْمَ الْمُصِيبَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَهَذَا لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْ كَانَ ثَمَرَةَ إِيمَانٍ وَصُحْبَةٍ طَوِيلَةٍ وَتَرْبِيَةٍ نَبَوِيَّةٍ.

وَالصَّحَابَةُ وَالسَّلَفُ لَمْ يُولَدُوا رَاضِينَ مُحْتَسِبِينَ بَلْ تَعَلَّمُوا الرِّضَا وَاكْتَسَبُوهُ بِالتَّأَمُّلِ، وَالصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ لِرَسُولِ الله ﷺ، وَالتَّفَكُّرِ فِي نِعَمِ الله، فَكُلَّمَا زَادَ الإِيمَانُ زَادَ الرِّضَا، وَكُلَّمَا عَرَفَ الإِنسَانُ رَبَّهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ رَضِيَ بِقَضَاءِ الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٢٧).

س: اذكر أنواع الرِّضا؟

الجواب:

الرِّضَى قِسْمَانِ:

قِسْمٌ يَكُونُ لِكِلِ مُكَلّف: وَهُوَ مَا لَا بُد مِنْهُ فِي الْإِيمَان، وَحَقِيقَته قبُول مَا يرد من قِبَل الله من غير اعْتِرَاض على حكمِه وَتَقْدِيره.

وَقسْمٌ لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَرْبَابِ الْمَقَامَاتِ: وَحَقِيقَتُه ابْتِهَاجُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ بِالْمَقْضِي.

وهذا من حيثِ التَّكليفِ.

وأمّا أنواعه جُملةً:

رِضَا العَبدِ عَنِ الله.

رِضَا اللهِ عَنِ العَبْدِ.

رِضَا النّاسِ.

الرِّضا عن النَّفسِ، وسَيأتي تَفصيلُ ذلك إن شاءَ اللهُ.

س: ما رِضا العَبدِ عَنِ اللّهِ، ورِضا اللّهِ عَنِ العَبدِ؟

الجواب:

رِضَا العَبْد عَن اللهِ أَنْ لَا يَكْرَه مَا يجْرِي بِهِ قَضاؤُه.

وَرِضا الله عَن العَبْد هُوَ أَنْ يَراهُ مُؤْتَمِراً لأمْرِه ومُنتهياً عَن نَهْيِه[١].

فيَكونُ قَلْبُ العَبْدِ مُطْمَئِنًّا بِقَضاءِ الله وقَدَرِه، وراضِيًا بِأَمْرِهِ ونَهْيِهِ وشَرْعِهِ، لا يَعْتَرِضُ على حُكْمِهِ، ولا يَضِيقُ صَدْرُهُ بما قُدِّرَ لهُ، سَواءً في السَّرّاءِ أو الضَّرّاءِ.

وَرِضا الله عَن العَبْد: هُوَ أَنْ يَراهُ مُؤْتَمِراً لأمْرِه ومُنتهياً عَن نَهْيِه.

فيُحبّ اللهُ العبدَ ويثني عليه ويُثيبه، ويُقرّبه منه، ويُدخله في رحمته ورضوانه، وهذا أعلى درجات القرب من الله.

قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة: ٧٢).

والمَعنى: أَنَّ رِضا الله عن العَبدِ في الجَنَّةِ أَعْظَمُ مِن كُلِّ نَعيمٍ آخَرَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»**[٢].

---

(١) حكاه الزبيدي عن الراغب في «تاج العروس» (٣٨/ ١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

س: مَا أنواعُ الرِّضا باعتبارِ ما يتعلَّقُ بالرِّضا نفسِهِ؟

الجواب:

أولاً: الرِّضا باللهِ رَبًّا.

وهو أن تَرضى باللهِ وَحدَهُ رَبًّا، لا تُشرِك به شَيئًا في رُبوبيَّتِه، ولا ألوهيَّتِه، ولا أسمائِهِ وَصفاتِهِ.

ثانيًا: الرِّضا بالإسلامِ دِينًا.

فَتَرضى به شَريعَةً ومِنهاجًا ونِظامَ حياةٍ، لأنَّهُ الدِّينُ الحَقُّ قالَ تعالى:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

أَلا تَرَ ما فَعَلَ سَحَرَةُ فِرعَونَ لَمَّا وَقَرَ الإِيمانُ في قُلُوبِهِم، رَضُوا بِهِ، وَإِن يَكُنْ ما يَكُونُ مِن عَذابِ فِرعَونَ لَهُم.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ (الشعراء:٥١:٤٥).

فَسَحَرَةُ فِرْعَوْنَ كَانُوا فِي أَوَّلِ الأَمْرِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِمُوسَى ﷺ، فَقَدْ جُمِعُوا لِإِبْطَالِ مُعْجِزَتِهِ وَإِظْهَارِ كَذِبِهِ أَمَامَ النَّاسِ، وَكَانُوا أَهْلَ خِبْرَةٍ وَدِرَايَةٍ بِالسِّحْرِ وَأَسْرَارِهِ.

لَكِنْ حِينَ أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، وَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ، وَلَا مِمَّا يَعْرِفُونَهُ، أَيْقَنُوا أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِندِ اللهِ تَعَالَى. فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُمُ الحَقُّ، لَمْ يَتَرَدَّدُوا لَحْظَةً فِي الإِيمَانِ، فَسَجَدُوا للهِ، وَقَالُوا:

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه:٧٠).

وَهُنَا تَجَلَّى مَقَامُ الرِّضَا عِندَهُمْ: رَضُوا بِاللهِ رَبًّا، وَتَرَكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ البَاطِلِ.

رَضُوا بِالإِيمَانِ وَاليَقِينِ، حَتَّى مَعَ تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ العُقُوبَةِ: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ، وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف:١٢٤).

فَكَانَ رَدُّهُمْ: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٥).

أَجَابُوهُ بِقُلُوبٍ رَاضِيَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ (طه:٧٢-٧٣).

فَهُنَا يَظْهَرُ مَعْنَى الرِّضَا جَلِيًا:

- رَضُوا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَلَمْ يَجْزَعُوا مِنَ التَّهْدِيدِ وَالقَتْلِ.

رَضُوا بِالآخِرَةِ بَدَلَ الدُّنْيَا، فَأَعْلَنُوا أَنَّ فِرْعَوْنَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا الزَّائِلَةَ.

- رَضُوا بِالعَذَابِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ رِضَا اللهِ أَعْظَمُ مِنْ رِضَا فِرْعَوْنَ.

فَمَا أَسْرَعَ مَا انْقَلَبَ السَّحَرَةُ مِنْ أَعْدَاءٍ إِلَى أَوْلِيَاء، وَمِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَى أَهْلِ الآخِرَةِ، وَمِنْ طَلَبِ رِضَا فِرْعَوْنَ إِلَى طَلَبِ رِضَا الرَّحْمَنِ.

إِذًا: رِضَا سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَسْلَمُوا هُوَ أَرْوَعُ مِثَالٍ عَلَى ثَبَاتِ الإِيمَانِ وَاليَقِينِ، وَأَنَّ الرِّضَا بِاللهِ يُبَدِّدُ الخَوْفَ مِنَ المَخْلُوقِ، وَيَزْرَعُ الطُّمَأْنِينَةَ وَلَوْ كَانَ أَمَامَهُمُ المَوْتُ.

وَمِنْ دَلَالَاتِ رِضَاهُمْ بَعْدَ الإِيمَانِ:

١ - التَّحَوُّلُ العَمِيقُ فِي القَنَاعَةِ:

انْتَقَلُوا مِنَ السِّحْرِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَدَوَاتِ التَّضْلِيلِ، إِلَى الإِيمَانِ الصَّادِقِ، فِي لَحْظَةِ صَفَاءٍ وَإِدْرَاكٍ.

٢- رِضًا عَمِيقٌ بِقَضَاءِ الله:

رَغْمَ تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ، لَمْ يَطْلُبُوا النَّجَاةَ، وَلَا خَافُوا المَوْتَ، بَلْ تَقَبَّلُوهُ بِرِضًا كَامِلٍ، وَأَظْهَرُوا يَقِينَهُمْ بِأَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

٣- رَمْزٌ لِلثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ:

أَصْبَحُوا مِثَالًا يُقْتَدَى بِهِ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الإِيمَانِ وَالرِّضَا بِالابْتِلَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٤- قُوَّةُ البَصِيرَةِ بَعْدَ الهِدَايَةِ:

بَعْدَمَا كَانُوا فِي قِمَّةِ الضَّلَالِ، رَأَوُا النُّورَ فَوْرًا وَآمَنُوا بِهِ، وَكَأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ مُهَيَّأَةً لِلهِدَايَةِ.

ثالثًا: الرِّضا بِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ورَسُولًا.

فَتَرْضى بِرِسالَتِهِ وتَسْلَمُ بِحُكْمِهِ وطاعَتِهِ.

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء:٦٥).

وَقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

وهذِهِ الثَّلاثَةُ هي أَرْكانُ الرِّضا الإيمانيِّ، وهي واجِبَةٌ.

رابعًا: الرِّضا بالقضاءِ والقَدَرِ.

وهُوَ أَن تَرْضى بما قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْكَ مِن خَيْرٍ وَشَرٍّ.

واعلم أن التَّسْلِيمَ لِلْقَضَاءِ يُحْمَدُ إِذَا لَمْ يُؤْمَرِ الْعَبْدُ بِمُنَازَعَتِهِ وَدَفْعِهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، كَالْمَصَائِبِ الَّتِي لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى دَفْعِهَا.

وَأَمَّا الْأَحْكَامُ الَّتِي أُمِرَ بِدَفْعِهَا: فَلَا يَجُوزُ لَهُ التَّسْلِيمُ إِلَيْهَا، بَلِ الْعُبُودِيَّةُ: مُدَافَعَتُهَا بِأَحْكَامٍ أُخَرَ أَحَبِّ إِلَى اللهِ مِنْهَا[1].

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ**

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٤٦).

عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ»(١).

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه بَرَكَةُ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا وَذَمُّ التَّضَجُّرِ بِالْقَضَاءِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لَا تَقْطَعِ الْخِدْمَةَ وَلَوْ ظَهَرَ لَكَ عَدَمُ الْقَبُولِ(٢).

وعن حُمَيْد بْن هِلَالٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفٌ قَالَ: أَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يَوْمًا، فَقُلْتُ: إِنِّي لَأَدَعُ إِتْيَانَكَ لِمَا أَرَاكَ فِيهِ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى» قَالَ جَرِيرٌ: «وَكَانَ سَقَى بَطْنُهُ فَمَكَثَ عَلَى سَرِيرٍ مَنْقُوبٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٩١).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «زيادات الزهد» (٤٦١)، وأحمد في «الزهد» (٨٠٤).

وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٦٩٣) عن وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ، عَنِ الْحَسَنِ، عن عمران بن حصين به.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٥٠٠) من طريق مُحَمَّد بْن سِنَانٍ الْقَزَّازُ ، نَا حِبَّانُ بْنُ هِلَالٍ ، نَا مُبَارَكٌ ، نَا الْحَسَنُ عن عمران نحوه.، وفيه محمد بن سنان القزاز ضعيف.

وَإذا عَلِمَ الإنْسَانُ أَنَّ الَّذِي ابْتَلَاهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ، وَيُخَوِّفَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٦)، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٤٨).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ: يَا بُنَيَّ الْمُصِيبَةُ مَا جَاءَتْ لِتُهْلِكَ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ لِتَمْتَحِنَ صَبْرَك وَإِيمَانَك، يَا بُنَيَّ الْقَدَرُ سَبُعٌ، وَالسَّبُعُ لَا يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، فَالْمُصِيبَةُ كِيرُ الْعَبْدِ، فَإِمَّا أَنْ يَخْرُجَ ذَهَبًا أَوْ خَبَثًا كَمَا قِيلَ:

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا[1] فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

وَعَلِمَ[2] أَنَّهُ لَوْلَا الْمَصَائِبُ لَبَطَرَ الْعَبْدُ وَبَغَى وَطَغَى فَيَحْمِيهِ بِهَا مِنْ ذَلِكَ وَيُطَهِّرُهُ مِمَّا فِيهِ، فَسُبْحَانَ مِنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ، وَيَبْتَلِي بِنَعْمَائِهِ كَمَا قِيلَ:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

(١) اللُّجَيْنُ الْفِضَّةُ جَاءَ مُصَغَّرًا مِثْلَ الثُّرَيَّا وَكُمَيْتٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١)، وَقَالَ: «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»(٢) وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ احْتَمَلَ مَرَارَةَ سَاعَةٍ لِحَلَاوَةِ الْأَبَدِ.

وَذُلَّ سَاعَةٍ لِعِزِّ الْأَبَدِ، هَذَا مِنْ لُطْفِ الله بِهِ حَتَّى نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَالْغَايَاتِ، وَالنَّاسُ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ آثَرُوا الْعَاجِلَ لِمُشَاهَدَتِهِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يُحِبُّ رَبَّهُ وَأَنَّ الْمُحِبَّ وَأَنَّهُ إِنْ أَسْخَطَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي مَحَبَّتِهِ، وَلِهَذَا كَانَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ڤ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ: أَحَبُّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَيْهِ(٣).

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله النِّبَاجِيِّ(٤)، قَالَ: «إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا أَبْدَالًا فَأَحِبُّوا مَا شَاءَ اللهُ وَمَنْ أَحَبَّ مَا شَاءَ اللهُ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ مِنْ مَقَادِيرِ الله وَأَحْكَامِهِ شَيْءٌ إِلَّا أَحَبَّهُ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة ڤ.

(٢) حديث ثابت أخرجه أحمد (٧٥٣٠) وغيره.

(٣) «الآداب الشريعة» (٢/ ١٩٢).

(٤) النِّبَاجِيُّ أَبُو عَبْدِ الله سَعِيْدُ بنُ بُرِيْدٍ الصُّوفِيُّ، القُدْوَةُ، العَابِدُ، الرَّبَّانِيُّ، أَبُو عَبْدِ الله سَعِيْدُ بنُ بُرِيْدٍ الصُّوْفِيُّ، لَهُ كَلاَمٌ شَرِيْفٌ، وَمَوَاعِظُ.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (٣٥) بسند صحيح.

خامسًا: الرِّضا عَنِ اللهِ في البَلاءِ.

وهُوَ أَنَّكَ إذا أَصابَتْكَ مُصيبَةٌ لا تَجْزَعُ ولا تَتَسَخَّطُ، بَل تَقولُ: الحمدُ للهِ، قدَرَ اللهِ وما شاءَ فَعَلَ.

فَعن عَبْد الصَّمَدِ بْن يَزِيدَ، سَمِعْتُ شَقِيقًا الْبَلْخِيَّ ، يَقُولُ: ذَهَبَ بَصَرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ[1] عِشْرِينَ سَنَةً فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَهْلُهُ وَلَا وَلَدُهُ فَتَأَمَّلَهُ ابْنُهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ ذَهَبَتْ عَيْنَاكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَا بُنَيَّ الرِّضَا عَنِ اللهِ، أَذْهَبَ عَيْنَ أَبِيكَ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً»[2].

فَتَأَمَّلْ في أَمْرِ هذا الرَّجُلِ وفي رِضاهُ بِقَضاءِ اللهِ!!

وَإذا عَلِمَ الإنْسَانُ أَنَّ الَّذِي ابْتَلَاهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ، وَيُخَوِّفَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٦)، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٤٨).

---

(١) عبد العزيز بن أبى رواد المكى، مولى المهلب بن أبى صفرة الأزدى، من كبار أتباع التابعين أَحَدُ الأَئِمَّةِ العُبَّادِ.

(٢) إسناده حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩١).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ: يَا بُنَيَّ الْمُصِيبَةُ مَا جَاءَتْ لِتُهْلِكَ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ لِتَمْتَحِنَ صَبْرَك وَإِيمَانَك، يَا بُنَيَّ الْقَدَرُ سَبُعٌ، وَالسَّبُعُ لَا يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، فَالْمُصِيبَةُ كِيرُ الْعَبْدِ، فَإِمَّا أَنْ يَخْرُجَ ذَهَبًا أَوْ خَبَثًا كَمَا قِيلَ:

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا[1] فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

وَعَلِمَ أَنَّهُ لَوْلَا الْمَصَائِبُ لَبَطَرَ الْعَبْدُ وَبَغَى وَطَغَى فَيَحْمِيهِ بِهَا مِنْ ذَلِكَ وَيُطَهِّرُهُ مِمَّا فِيهِ، فَسُبْحَانَ مِنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ، وَيَبْتَلِي بِنَعْمَائِهِ كَمَا قِيلَ:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

وَاعْلَمْ أَنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**» وَقَالَ: «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**» وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ احْتَمَلَ مَرَارَةَ سَاعَةٍ لِحَلَاوَةِ الْأَبَدِ.

وَذُلَّ سَاعَةٍ لِعِزِّ الْأَبَدِ، هَذَا مِنْ لُطْفِ اللهِ بِهِ حَتَّى نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَالْغَايَاتِ، وَالنَّاسُ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ آثَرُوا الْعَاجِلَ لِمُشَاهَدَتِهِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ،

---

(١) اللُّجَيْنُ الْفِضَّةُ جَاءَ مُصَغَّرًا مِثْلَ الثُّرَيَّا وَكُمَيْتٌ.

وَعَلِمَ أَنَّهُ يُحِبُّ رَبَّهُ وَأَنَّ الْمُحِبَّ وَأَنَّهُ إِنْ أَسْخَطَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي مَحَبَّتِهِ، وَلِهَذَا كَانَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ: أَحَبُّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَيْهِ(١).

سادِسًا: الرِّضا بما قَسَمَ اللهُ من الأَرْزاقِ.

وهُوَ أَن تَكونَ راضِيَ النَّفْسِ بِحالِكَ، ولا تَمُدَّنَّ عَينَيْكَ إلى ما مَتَّعَ اللهُ بِهِ غَيْرَكَ، ولا تَعْتَرِضْ ولا تَتَسَخَّطْ، بَل تَقْبَلُ وتُسْلِمُ.

فعن أَبي عَبْدِ اللهِ النِّبَاجِيَّ يَقُولُ: «إِنْ أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ، وَإِنْ مَنَعَكَ أَرْضَاكَ»(٢).

سابِعًا: الرِّضا عَنِ النّاسِ.

وذلك أَن يُظْهِرَ الرِّضا عَن فِعْلِ غَيْرِهِ، وهذا قَد يَكونُ مَحمودًا وقَد يَكونُ مَذْمومًا، عَلَى حَسَبِ فِعْلِ العَبْدِ.

فإن رَضِيَ عَن مَعْصِيَةٍ فَهُوَ آثِمٌ.

وإن رَضِيَ عَن طاعَةٍ فَذلِكَ خَيْرٌ.

فعَنِ الْعُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا»** – وَقَالَ مَرَّةً: **«أَنْكَرَهَا»** – **كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»**(١).

---

(١) «الآداب الشريعة» (٢/ ١٩٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (٣٤) بسند صحيح.

ثامِنًا: الرِّضا عَنِ النَّفْسِ.

وهُوَ أَن يَرَى العَبْدُ نَفْسَهُ كامِلَةً لا تَحْتاجُ إلى إِصْلاحٍ، وهذا مَذْمومٌ جِدًّا. لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، وقَالَ تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النَّجْمِ ٣٢).

س: اذكُر أنواعَ الرِّضا بحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ؟

الجَواب:

أوَّلًا: رِضا واجِبٌ.

وهذا قَد سَبَقَ في السُّؤالِ السَّابِقِ، مِثْلَ الرِّضا بِاللهِ رَبًّا، بِالإسلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ورَسولًا، وكالرِّضا بالقَدَرِ عِندَ وُقوعِهِ.

قالَ تَعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (مُحَمَّد: ٩). ففي الآيَةِ أَنَّ عَدَمَ الرِّضا بِما أَنْزَلَ اللهُ كُفْرٌ يُحْبِطُ العَمَلَ.

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أبو داود (٤٣٤٥) ثنا محمد بن العلاء، أخبرنا أبو بكر وهو ابن عياش، ثنا مغيرة بن زياد الموصلي، عن عدي بن عدي، عن العرس بن عميرة الكندي مرفوعاً به.

وإسناده حسن لأجل المغيرة بن زياد، وإن كان تُكلم فيه فقد وثقه كثير من أهل العلم.

وله شاهد: أخرجه البيهقي (٧/ ٢٢٩) عن ابن مسعود «إذا عمل بالخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها».

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»(١).

ثانيًا: رِضا مُستحبٌّ.

كالرِّضا عِند وُقوعِ البَلاءِ مِن غيرِ شَكْوَى، والرِّضا بما قُسِمَ مِن الرِّزْقِ، والدُّنيا عُمومًا، وسَيَأتي ذلِكَ في سُؤالٍ مُستقلٍّ.

ثالثًا: رِضا مُحَرَّمٌ.

كالرِّضا بالكُفرِ(٢)، أو الرِّضا بما يُخالِفُ شَرعَ اللهِ ﷺ، أو أَنْ يَرضى عَنْ نَفْسِهِ رِضا عُجبٍ وتزكِيةٍ، أو الرِّضا بالمعاصِي، أو بالظُّلْمِ والفَسادِ أو بالمُحَرَّماتِ عُمومًا.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢٨).

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾: أَي كَرِهُوا ما فيهِ رِضْوانُ اللهِ وهو الطَّاعَةُ والإيمانُ، وإذا كَرِهُوا ما فيهِ الرِّضْوانَ فَقَد كَرِهُوا الرِّضْوانَ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ الَّتي كانُوا يَعمَلُونَها مِن صَلاةٍ، وصَدَقَةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، لِأَنَّها في غيرِ إيمانٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) لأن الرضا بالكفر كفر.

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٩).

وقال تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّل عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهَّ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ (النساء:١٤٠) .

قَال الْقُرْطُبِيُّ: فَدَل بِهَذَا عَلَى وُجُوبِ اجْتِنَابِ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ؛ لأَنَّ مَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُمْ فَقَدْ رَضِيَ فِعْلَهُمْ، وَالرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ[1].

س: اذكُرْ أنواعَ الرِّضا بحَسَبِ حالِ العَبدِ؟

الجواب:

هذا يَكونُ بِحَسَبِ إيمانِ العَبْدِ، فَمَعلومٌ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ وَيَنقُصُ.

فَكُلَّما زادَ الإيمانُ كانَ التَّسليمُ والقَبولُ، وَعندما يَنقُصُ الإيمانُ في قَلبِ العَبْدِ، قد يَنتَقِلُ مِن الرِّضا إلى الصَّبرِ، وقَد يَنزِلُ إلى التَّسَخُّطِ والاعتراضِ، عافانا اللهُ وإيَّاكَ منهُ.

وهو هُنا يَتَعَدَّدُ، لأنَّ الرِّضا ليسَ حالَةً واحدةً بَل مَرَاتِبَ تَتَفاوَتُ حَسَبَ إيمانِ العَبْدِ، ووَعْيِهِ، وسلوكِهِ، وهِيَ تَعكِسُ عَلاقةَ الإنسَانِ بِنَفسِهِ، وباللهِ، وبالنّاسِ، وبالقَدَرِ.

---

(١) تفسير القرطبي» (٥/ ٤١٨).

ومِن أبرَزِها، الرِّضا باللهِ:

وَهُوَ أن يَرضى العَبْدُ بالله رَبًّا وإلهًا ومُدبِّرًا، فَيَسكُنُ قَلْبُهُ لِحُكمِهِ وأمرِهِ، وقَد سَبَقَ الكَلامُ عليهِ، ولَكِنَّهُ يَختَلِفُ مِن شَخصٍ لآخَرَ عَلَى حَسَبِ إيمانِهِ باللهِ ﷻ.

ومِن مَظاهِرِهِ:

الثِّقةُ بِحِكمَةِ اللهِ وعدلِهِ.

عَدَمُ السُّخْطِ على قَضاءِ اللهِ.

التَّوكُّلُ على اللهِ في السَّراءِ والضَّراءِ.

ومِن أَثَرِهِ:

طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ، وَدَوَامُ الذِّكْرِ، وَسَكِينَةٌ فِي الشَّدَائِدِ.

وَالرِّضَا عَنْ اللهِ: وَهُوَ أَنْ يَرَى الْعَبْدُ مَا يَأْتِيهِ مِنَ اللهِ خَيْرًا، فَيَرْضَى بِمَا قَسَمَ لَهُ، مِنْ رَزْقٍ، أَوْ صِحَّةٍ، أَوْ بَلَاءٍ أَوْ....

وَمِنْ مَظَاهِرِهِ:

* الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

* عَدَمُ الاعْتِرَاضِ عَلَى الْأَقْدَارِ.

* شُكْرُ النِّعَمِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ.

والفَرقُ بَينَهُ وَبَينَ الرِّضا عَنِ اللهِ، وَبِالقَضاءِ وَالقَدَرِ:

أن الرِّضَا بِاللهِ: يَتَعَلَّقُ بِالاعْتِقَادِ وَالثِّقَةِ بِاللهِ.

والرِّضَا عَنْ اللهِ: يَتَعَلَّقُ بِالْأَفْعَالِ وَالْأَقْدَارِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ.

والرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ: وَهُوَ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، سَوَاءً وَافَقَ هَوَاهُ أَمْ لَا، بَعْدَ أَنْ بَذَلَ مَا يَسْتَطِيعُ.

ومِن مَظاهِرِهِ:

* التَّسليمُ لما وَقَعَ.
* عَدَمُ الجَزَعِ من البَلاءِ أو الحُزْنِ المُفرِطِ.
* التَّوازُنُ بَينَ السَّعي والقَبولِ بالنَّتيجَةِ.

قالَ ابنُ القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ:

الرِّضَا بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَمُسْتَرَاحُ الْعَارِفِينَ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، فَجَدِيرٌ بِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ تَشْتَدَّ رَغْبَتُهُ فِيهِ، وَأَنْ لَا يَسْتَبْدِلَ بِغَيْرِهِ مِنْهُ[1].

الرِّضا عَنِ النَّفْسِ:

وهُوَ ألا يَكونَ في قَلبِهِ اعْتِراضٌ دائِمٌ على حالِهِ، ولا مُزَكٍّ لها على الدّوامِ، بَل يَسعى لِلإِصْلاحِ دونَ جَلدٍ أو احْتِقارٍ لذاتِهِ.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٠).

فالرِّضا المَحمودُ عَنِ النَّفسِ: تَوازُنٌ، مَع شُعورٍ بالنَّقْصِ والتَّقْصيرِ يَدفعُ لِلإِصْلاحِ.

والرِّضا عَنِ النَّفسِ المَذمومُ: إِعجابٌ وغُرورٌ وتزْكِيَةٌ للنَّفسِ.

والرِّضا في الطَّاعةِ والعِبادةِ: وهُوَ أنْ يُؤَدّي الطَّاعةَ وهو مُحِبٌّ لها، راضٍ بِها، لا يَراها ثَقيلةً أو كُلفةً، مَع رُؤْيةِ تَقْصيرِ نَفْسِهِ في حَقِّ اللهِ ﷻ، لِتَدفعَهُ لِلاسْتِقامَةِ والمُداوَمَةِ على العَمَلِ.

ومِن أَثَرِهِ:

* تَلَذُّذٌ بِالعِبادةِ.
* ثَبَاتٌ وَاسْتِمْرَارِيَّةٌ فِي الطَّاعَاتِ.

الرِّضَا عَنْ النَّاسِ – الرِّضَا الاجْتِمَاعِيُّ –: وَهُوَ أَنْ لَا يَحْمِلَ حِقْدًا أَوْ حَسَدًا عَلَى مَا نَالَهُ غَيْرُهُ، وَأَنْ يَرْضَى بِمَا قُسِمَ لَهُ دُونَ مُقَارَنَاتٍ.

وَمِنْ أَثَرِهِ:

* عِلَاقَاتٌ نَقِيَّةٌ صِحِّيَّةٌ.
* حُسْنُ خُلُقٍ.
* سَلَامَةُ صَدْرٍ.

خُلَاصَةُ ذَلِكَ:

أَنَّ أَنْوَاعَ الرِّضَا بِحَسَبِ حَالِ الْعَبْدِ هِيَ دَرَجَاتٌ مِنَ الإِيْمَانِ وَالسَّكِينَةِ وَالْقَبُولِ، تَبْدَأُ مِنَ الرِّضَا بِالله وَتَنْتَهِي إِلَى الرِّضَا عَنْ النَّفْسِ وَالنَّاسِ، وَكُلَّمَا تَرَقَّى الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الْأَنْوَاعِ، زَادَ قُرْبُهُ مِنَ الله وَاسْتَقَرَّ قَلْبُهُ، لِأَنَّهُ لَا يَشْغَلُ بَالَهُ لَا بِرَزْقٍ قَلَّ أَوْ زَادَ وَلَا بِمَا آتَاهُ اللهُ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ حِطَامِ الدُّنْيَا، لَا يَكُونُ شُغْلُهُ الشَّاغِلُ إِلَّا رِضَا رَبِّهِ ﷻ.

س: ما حُكمُ طلبِ رِضا الناسِ؟

الجَواب:

رِضا النَّاسِ غايَةٌ لا تُدْرَكُ، فَعَلَيْكَ بِما يُصْلِحُكَ فَالْزَمْهُ، فَإِنَّهُ لا سَبِيلَ إِلى رِضاهُمْ.

وطَلَبُ رِضا النَّاسِ لَهُ تَفْصيلٌ في الحُكْمِ، بِحَسَبِ النِّيَّةِ والْوَسِيلَةِ والغايَةِ.

ويُمْكِنُ تَقْسِيمُهُ كَما يَأتي:

طَلَبُ رِضا النَّاسِ بِما لا يُغْضِبُ اللهَ:

إِذا كانَ طَلَبُ رِضا النَّاسِ فِيما هُوَ مُباحٌ أَوْ حَسَنٌ، وَلا يَتَضَمَّنُ مَعْصِيَةً أَوْ مُخالَفَةً لِلشَّرْعِ، فَهُوَ جائِزٌ، بَلْ قَدْ يَكونُ مَحْمُودًا، خُصُوصًا إِذا كانَ فِيهِ تَأْلِيفٌ لِلْقُلوبِ، أَوْ إِصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ، أَوْ نَشْرٌ لِلخَيْرِ.

مِثَالُ ذلكَ: أَنْ تُحَسِّنَ أَخْلاقَكَ مَعَهُمْ، وَتَتَعَامَلَ بِلُطْفٍ، وَتُحْسِنَ إِلَيْهِمْ لِيُحِبُّوكَ وَيَرْضَوْا عَنْكَ، وَقَدْ قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خالق الناس بخلق حسن**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

لٰكِنْ إِذَا كَانَ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَا بَأْسَ.

فَفِي حَدِيثِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»(٢).

قَالَ الزُّهْرِي: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: الْحَرْبُ وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

وَقَدْ نَقَلَ الصَّنْعَانِيُّ الِاتِّفَاقَ عَلَى ذٰلِكَ، فَقَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ الْكَذِبُ اتِّفَاقًا فِي ثَلَاثِ صُوَرٍ(٣).

وَأَمَّا طَلَبُ رِضَا النَّاسِ بِمَعْصِيَةِ الله:

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ إِرْضَاءُ النَّاسِ يَقْتَضِي مُخَالَفَةَ أَمْرِ الله أَوِ الوُقُوعَ فِي الحَرَامِ، فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَذْمُومٌ شَرْعًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٣٥٤) وغيره وهو حديث حسن لطرقه وشواهده.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٣) «سبل السلام» (٢/ ٦٨٤).

مِثَالُ ذٰلِكَ: أَنْ تُجَامِلَهُمْ فِي الكَذِبِ، أَوْ تُشَارِكَهُمْ فِي بَاطِلٍ، أَوْ تَتْرُكَ وَاجِبًا دِينِيًّا لِأَجْلِ رِضَاهُمْ والله ﷻ يقول: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:٦٢)، نزلت في المنافقين الذين يحرصون على رضا الناس ويتركون رضا الله.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم).

وَفي حديث عائشة قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»**(١).

---

(١) **صحيح موقوفاً لا مرفوعاً:**

رواه واقد العمري واختلف عنه:

فرواه عثمان بن واقد، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عَنْ عَائِشَةَ مرفوعاً. ابن حبان (٢٧٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٩-٥٠٠) وغيرهما

وخالفه شعبة فرواه واختلف عنه:

فرواه عثمان بن عمر عن شعبة كما عند ابن حبان (٢٧٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٠١)، والبيهقي في «الزهد» (٨٩٠-٨٩٢) وغيرهما، والنضر بن شميل كما عند البيهقي في «الزهد» (٨٩٢) عن واقد، عن ابن أبي مليكة، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ مرفوعاً.

وقال البيهقي: ربما رفعه عثمان، وربما لم يرفعه.

وخالفهما أبو داود الطيالسي، وعمر بن مرزوق، والنضر بن شميل كما عند أحمد في «الزهد» (٩١٠) والدارقطني في «العلل» (١٤/ ١٨٢)، وعلي بن الجعد كما عند البغوي في «حديث علي بن الجعد» (٨/ ٧٦ / ١) جميعاً عن شعبة، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة، موقوفاً.

وقيل: عن شعبة، عن واقد، عن رجل لم يسمه، عن ابن أبي مليكة، موقوفاً كما عند الدارقطني في «العلل» (١٤/ ١٨٢).

والصواب الوقف فلا شك أن شعبة أقوى من عثمان بن عمر.

فإن قيل إن شعبة اختلف عليه، وهذا يوهن من روايته، يقال إن عثمان بن عمر رواه مرة عن أبيه ومرة عن شعبة، فكأنه اضطرب فيه، ولذلك لما رجح أبو حاتم الوقف جعل الوهم إما أأن يكون من عثمان وإما ممن فوقه وهو عبد الرحمن المحاربي.

فقال ابن أبي حاتم: سألتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَعَنْ حديثٍرَوَاهُ الْمُحَارِبِي عُثْمَانَ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنكَدِر، عَنْ عُرْوَة، عن فَقَالا: هَذَا خطأٌ؛ رَوَاهُ شُعبة، عَنْ وَاقِدِ بْنِ محمَّد، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيكة، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عائِشَة، موقوف؛ وهو الصَّحيحُ.

قلتُ لأَبِي: الخطأُ ممَّن هُوَ؟ قَالَ: إمَّا مِنَ الْمُحَارِبي، وإمَّا من عُثْمَان.

ولذا قال الدارقطني في «العلل»: رفعه لا يثبت.

ورواه هشام بن عروة واختلف عنه:

فرواه قطبة بن العلاء، عن أبيه العلاء بن المنهال، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ مرفوعاً.

كما عند القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٨)، والبزار في «كشف الأستار» (٣٥٦٨)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٨١٦).

وخالفه سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة موقوفاً. كما عند الترمذي في «سننه» (٢٤١٤). وهو الصواب فإن قطبة بن العلاء وأبيه كلاهما ضعيف.

ورواه زكريا ابن أبي زائدة واختلف عنه:

فرواه سفيان قَالَ: نا زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ ذَرِيحٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عَائِشَةَ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللهِ يَعُودُ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا**» كما عند الحميدي في «مسنده» (٢٦٨)، وأبي داود في «الزهد» (٣٢٢)، إلا أنه سقط عباس بن ذريح عند أبي داود.، فلعله سمعه على الوجهين فإن زكريا ممن سمع الشعبي، وهو متابع على ذلك من قبل وكيع على الوقف.

وخالفه عبدة بن سليمان، وعنبسة بن سعيد، وابن نمير، ووكيع فرووه عن زكريا به موقوفاً، كما عند أبي داود في «الزهد» (٣٢٣)، ابن المبارك في «الزهد» (١٩٩)، وابن أبي شيبة (٣٠٦٣٧)، ووكيع في «الزهد» (٥٢٣).

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٠)، و من طريقه الترمذي في «سننه» (٢٤١٤)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٢٧٨٨) عن عبد الوهاب بن الورد عن رجل من أهل المدينة قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلاَ تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ الله مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ**». وفيه مبهم.

فمَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله ﷻ وَإِنْ سَخِطَ عَلَيْهِ النَّاسُ، يَجْعَلِ اللهُ لَهُ الْعَاقِبَةَ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فتَأَمَّلْ مَا فَعَلَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه لَمَّا تَخَلَّفَ عَن غَزْوَةِ تَبُوكَ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، لَمَّا تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يُخَاطِبُهُ عَنْ سُؤَالِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ عَنْ سَبَبِ تَخَلُّفِهِ عَنِ الْغَزْوَةِ، وَتَحَيَّرَ كَيْفَ يَخْرُجُ مِنْ سَخَطِ رَسُولِ الله ﷺ: «**يَا رَسُولَ الله إِنِّي وَالله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله ...** » الحديث[1].

وَلَا عَجَبَ فقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِذَا شَاءَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَه قَلَّبَهُ، والله هو الذي يُلقِي المحبة في قلوب العباد ما أو ينزعها من قلوبهم.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «أَضْحَكَنِي ثَلَاثٌ، وَأَبْكَانِي ثَلَاثٌ: أَضْحَكَنِي مُؤَمِّلُ دُنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَضَاحِكٌ بِمِلْءِ فِيهِ، وَلَا يَدْرِي، أَرَضِيَ اللهَ أَمْ أَسْخَطَهُ؟ وَأَبْكَانِي فِرَاقُ الْأَحِبَّةِ، مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ، وَهَوْلُ الْمُطَّلَعِ عِنْدَ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ الله ﷻ يَوْمَ تَبْدُوَ السَّرِيرَةُ عَلَانِيَةً، ثُمَّ لَا أَدْرِي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ؟»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤٩) بسند لا بأس به.

وأمَّا جَعْلُ رِضَا النَّاسِ غَايَةً عُلْيَا:

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يَجْعَلُ رِضَا النَّاسِ هَدَفَهُ الأَوَّلَ فِي الحَيَاةِ، وَيَغْفُلُ عَنْ رِضَا الله، فَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ ضَعْفِ الإِيمَانِ، وَقَدْ يُوقِعُهُ فِي النِّفَاقِ.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨).

ووجه الدلالة منها: أَنَّ مَنْ يَسْعَى لِرِضَا النَّاسِ، وَلَوْ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ، قَدْ يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ، حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الْكُفْرِ، فَيَهْلِكَ.

وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ:

إِرْضَاءُ النَّاسِ جَائِزٌ وَمَطْلُوبٌ إِذَا كَانَ فِي الْخَيْرِ، كَالإِصْلَاحِ وَنَحْوِهِ، وَمِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ.

وَأَمَّا بِمَعْصِيَةِ الله فَلَا يَجُوزُ، رِضَا الله أَوْلَى وَأَبْقَى، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ، رَضِيَ عَنْهُ النَّاسُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

س: اذكُرْ أسبَابَ حُصُولِ الرِّضَا – المكتسَبَة – أو وَسَائِلَ تحقيقِ الرِّضَا؟

الجَوَابُ:

أَسْبَابُ حُصُولِ الرِّضَا كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، فَمِنْهَا مَا هُوَ قَلْبِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَمَلِيٌّ.

أمَّا الأسْبَابُ القَلْبيَّة الإيمَانيَّة:

أولها وأَعْظَمها: أَنْ يَلْزَمَ مَا جَعَلَ اللهُ رِضَاهُ فِيهِ، فَإِنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا وَلَا بُدَّ.

فعن أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: «إِذَا سَلَا الْعَبْدُ عَنِ الشَّهَوَاتِ فَهُوَ رَاضٍ»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الدُّخُولَ فِي الرِّضَا شَرْطٌ فِي رُجُوعِ النَّفْسِ إِلَى رَبِّهَا. فَلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ رَاضِيَةً(٢).

ثَانِيًا: اليَقِينُ، كُلَّمَا ازْدَادَ يَقِينُ العَبْدِ بِرَبِّهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ حَكِيمٌ خَبِيرٌ رَحِيمٌ، ازْدَادَ رِضَاهُ بِالله، لِأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ أَفْعَالَ الله Y كُلَّهَا خَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِ بَعْضِهَا لَنَا أَنَّهَا شَرٌّ – كَالمَرَضِ – إِلَّا أَنَّ أَفْعَالَ الله كُلَّهَا خَيْرٌ مَحْضٌ. فَيَكُونُ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ مَا يَجْرِي فَهُوَ لِحِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ وَعَدْلٍ.

ثَالِثًا: حُسْنُ الظَّنِّ بِالله، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَفَاتِيحِ الرِّضَا، أَنْ يَظُنَّ العَبْدُ بِرَبِّهِ خَيْرًا فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «**أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**».

رَابِعًا: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّرٌ، سَهُلَ عَلَيْهِ الرِّضَا.

---

(١) صحيح أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (١٨).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٦).

خَامِسًا: مَحَبَّةُ الله وَتَعْظِيمُهُ، فَمَنْ أَحَبَّ اللهَ حَقِيقَةً، عَلِمَ أَنَّ الحَبِيبَ لَا يَخْتَارُ لِمَنْ أَحَبَّ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ.

وَأَمَّا الأَسْبَابُ العَمَلِيَّةُ:

أَوَّلًا: المُداوَمَةُ عَلَى تَذَكُّرِ نِعَمِ الله وَشُكْرِهَا، فَحِينَئِذٍ يَرَى فَضْلَ الله عَلَيْهِ.

ثَانِيًا: النَّظَرُ فِيمَا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَهٰذَا بِلا شَكٍّ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ الرِّضَا.

ثَالِثًا: العَمَلُ الصَّالِحُ، الَّذِي بِهِ يَزْدَادُ الإِيمَانُ، الَّذِي يُرِيحُ القَلْبَ، وَيُزِيلُ عَنِ التَّسَخُّطِ.

رَابِعًا: التَّوَكُّلُ عَلَى الله، وَهُوَ الاعْتِمَادُ عَلَى الله وَالثِّقَةُ بِهِ.

خَامِسًا: تَرْبِيَةُ النَّفْسِ بِالتَّدَرُّجِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، عَوْدُ النَّفْسِ تَعْتَادُ.

سَادِسًا: الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذُ بِالله مِمَّا يُؤْدِي بِالعَبْدِ إِلَى عَدَمِ الرِّضَا، فَإِنَّ قُلُوبَ العِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ. وَلِذٰلِكَ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الفَقْرِ.

سَابِعًا: الصَّحْبَةُ الصَّالِحَةُ وَالبُعْدُ عَنْ أَهْلِ السَّخَطِ وَالاعْتِرَاضِ.

وَسَيَأْتِي سُؤَالٌ مُسْتَقِلٌّ فِي الوَسَائِلِ العَمَلِيَّةِ لِاكْتِسَابِ الرِّضَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

س: اذكُرْ آثارَ الرِّضَا عَلَى العَبْدِ - ثَمَرَاتِ الرِّضَا -؟

الجَوَابُ:

أَوَّلًا: الطُّمَأْنِينَةُ النَّفْسِيَّةُ، وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ.

ثَانِيًا: النَّجَاةُ مِنَ الهَمِّ وَالقَلَقِ وَالحُزْنِ.

ثَالِثًا: تَقْوِيَةُ الإِيمَانِ وَازْدِيَادُهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ.

رَابِعًا: رِضَا اللهِ عَنِ العَبْدِ، وَهُوَ أَعْظَمُ المَكَاسِبِ.

خَامِسًا: القُرْبُ مِنَ اللهِ، وَالتَّوْفِيقُ فِي الدُّنْيَا، وَالجَنَّةُ فِي الآخِرَةِ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَهْلُ الرِّضَا تَارَةً يُلَاحِظُونَ حِكْمَةَ الْمُبْتَلِي وَخَيْرَتَهُ لِعَبْدِهِ فِي الْبَلَاءِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّهَمٍ فِي قَضَائِهِ، وَتَارَةً يُلَاحِظُونَ ثَوَابَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَيُنْسِيهِمْ أَلَمَ الْمَقْضِيِّ بِهِ، وَتَارَةً يُلَاحِظُونَ عَظَمَةَ الْمُبْتَلِي وَجَلَالَهُ وَكَمَالَهُ، فَيَسْتَغْرِقُونَ فِي مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَشْعُرُونَ بِالْأَلَمِ، وَهَذَا يَصِلُ إِلَيْهِ خَوَاصُّ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، حَتَّى رُبَّمَا تَلَذَّذُوا بِمَا أَصَابَهُمْ لِمُلَاحَظَتِهِمْ صُدُورَهُ عَنْ حَبِيبِهِمْ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: أَوَجَدَهُمْ فِي عَذَابِهِ عُذُوبَةً.[1].

س: اذكر درجات المؤمن بالقضاء والقدر في المصائب؟

الجواب:

إعلم أَنَّ حُصُولَ الْيَقِينِ لِلْقَلْبِ بِالْقَضَاءِ السَّابِقِ وَالتَّقْدِيرِ الْمَاضِي يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى أَنْ تَرْضَى نَفْسُهُ بِمَا أَصَابَهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْيَقِينِ بِالْقَضَاءِ

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٧).

وَالْقَدَرِ عَلَى الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الرِّضَا، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَكْرُوهِ خَيْرًا كَثِيرًا.

ولِلْمُؤْمِنِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فِي الْمَصَائِبِ درجتان، أو مرتبتان:

الأولى الرضا: أَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ، وَهِيَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ جِدًّا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن:١١).

قَالَ عَلْقَمَةُ: هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَى(١).

وَعن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ، **فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ**»(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٢/٢٣) بسند صحيح.

(٢) حسن لغيره تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن حبان (١٩٧١) وغيره بسند حسن من حديث عمار بن ياسر.

وَمِمَّا يَدْعُو الْمُؤْمِنَ إِلَى الرِّضَا بِالْقَضَاءِ تَحْقِيقُ إِيمَانِهِ بِمَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»**.

فَمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ، كَانَ عَيْشُهُ كُلُّهُ فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ: هِيَ الرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ[١].

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الرِّضَا بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا وَمُسْتَرَاحُ الْعَابِدِينَ.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ الصبر: أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْبَلَاءِ، وَهَذِهِ لِمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَالرِّضَا فَضْلٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، مُسْتَحَبٌّ، وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتْمٌ، وَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ، وَوَعَدَ عَلَيْهِ جَزِيلَ الْأَجْرِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

وَقَالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ – ١٥٧)[١].

---

(١) وهو قول أبي معاوية الأسود العابد، أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (٤٢).

قَالَ الْحَسَنُ: الرِّضَا عَزِيزٌ، وَلَكِنَّ الصَّبْرَ مُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ(٢).

س: مَا الفَرقُ بَينَ الرِّضَا وَالصَّبرِ؟

الجَوابُ:

الرِّضَا أَعْلَى مِنْ مَقَامِ الصَّبْرِ.

إِذْ الصَّبْرُ فِيهِ كُلْفَةٌ وَمُجَاهَدَةٌ، وَأَمَّا الرِّضَا فَفِيهِ طُمَأْنِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ لِمَا قَضَاهُ اللهُ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ: أَنَّ الصَّبْرَ كَفُّ النَّفْسِ وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ مَعَ وُجُودِ الْأَلَمِ، وَتَمَنِّي زَوَالِ ذَلِكَ، وَكَفُّ الْجَوَارِحِ عَنِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الْجَزَعِ، وَالرِّضَا: انْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَسَعَتُهُ بِالْقَضَاءِ، وَتَرْكُ تَمَنِّي زَوَالِ ذَلِكَ الْمُؤْلِمِ، وَإِنْ وُجِدَ الْإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ، لَكِنَّ الرِّضَا يُخَفِّفُهُ لِمَا يُبَاشِرُ الْقَلْبَ مِنْ رُوحِ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَإِذَا قَوِيَ الرِّضَا، فَقَدْ يُزِيلُ الْإِحْسَاسَ بِالْأَلَمِ بِالْكُلِّيَّةِ(٣).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٦) وما بعدها.

(٢) لم أقف عليه عن الحسن لكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٤٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ، ثنا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، ثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: «الرِّضَا قَلِيلٌ، وَالصَّبْرُ مِعْوَلُ الْمُؤْمِنِ».

(٣) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٨).

وهذا جدول توضيحي.

الرضا	الصبر
اطمئنان القلب وسكونه وقبوله لما قسم الله له	تَحَمُّلُ المَشَقَّةِ ومَنْعُ النَّفْسِ مِن الجَزَع
لا يشعر بالضيق ولا يتمنى إلا ما قدر الله ﷻ	يَشْعُرُ بالألم لكنه يَحْتَسِب ويتحمل ولا يعترض
مستحب ومرتبة أعلى من الصبر	واجب عند المصائب
الراضي يأخذ الجر ويعيش في راحة نفسية	الصابر يأخذ الجر على صبره مع شعوره بالألم

مِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ فَقَدْ مَالَهُ.

الصَّابِرُ يَقُولُ: الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَكِنَّهُ يَشْعُرُ بِالحُزْنِ وَالأَلَمِ، ويتمنى ألو لم يكن ما كانِ.

الرَّاضِي: يَقُولُ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ القَلْبِ: الحَمْدُ لله، لَعَلَّ اللهَ صَرَفَ عَنِّي شَرًّا. وَخُلاَصَتُهُ أَنَّ الصَّبْرَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، لَا يَجُوزُ التَّسَخُّطُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا فَهُوَ رُتْبَةٌ وَدَرَجَةٌ أَعْلَى يَصِلُ إِلَيْهَا مَنْ أَحَبَّ اللهَ وَسُرَّ بِقَضَائِهِ ﷻ.

عَنْ سُلَيْمَانَ الْخَوَّاصِ، قَالَ مَاتَ ابْنٌ لِرَجُلٍ فَحَضَرَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَكَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْعَزَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: هَذَا وَاللهِ الرِّضَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَوِ الصَّبْرُ، قَالَ سُلَيْمَانُ: «الصَّبْرُ دُونَ الرِّضَا، الرِّضَا أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ قَبْلَ نُزُولِ الْمُصِيبَةِ رَاضِيًا بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ وَالصَّبْرُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نُزُولِ الْمُصِيبَةِ يَصْبِرُ»(١).

س: مَا حُكْمُ الرِّضَا عِنْدَ المَصَائِبِ والبَلَايَا؟

الجواب:

الرِّضَا عِنْدَ الْمُصِيبَاتِ مُسْتَحَبٌّ، وَهُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الإِيمَانِ، وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ.

فَالرِّضَا: قَبُولُ مَا قَسَمَهُ اللهُ لِعَبْدِهِ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ، وَنَفْسٍ هَادِئَةٍ، فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا يُقَدِّرُهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ الْمَصَائِبِ الَّتِي لَيْسَتْ ذُنُوبًا مِثْلَ أَنْ يَبْتَلِيَهُ بِفَقْرِ أَوْ مَرَضٍ أَوْ ذُلٍّ وَأَذَى الْخَلْقِ لَهُ فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى

(١) لا بأس به أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (٤٨)

الْمَصَائِبِ وَاجِبٌ وَأَمَّا الرِّضَا بِهَا فَهُوَ مَشْرُوعٌ لَكِنْ هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ: أَصَحُّهُمَا أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ لَيْسَ بِوَاجِبٍ(١).

فعبوديته فِي قَضَاء المصائب الصَّبْر عَلَيْهَا، ثمَّ الرِّضَا بهَا وَهُوَ أَعلَى مِنْهُ، ثمَّ الشُّكْر عَلَيْهَا وَهُوَ أَعلَى من الرِّضَا، وَهَذَا إِنَّمَا يأتى مِنْهُ إِذا تمكن حبه من قلبه، وَعلم حسن اخْتِيَاره لَهُ، وبره بِهِ، ولطفه بِهِ، وإحسانه إِلَيْهِ بالمصيبة، وَإِن كره الْمُصِيبَة(٢).

وعن أَبي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ، قَالَ: «أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ رُزِقْتُ مِنَ الرِّضَا طَرَفًا لَوْ أَدْخَلَنِي النَّارَ لَكُنْتُ بِذَلِكَ رَاضِيًا»(٣).

وَعَنْ أَبي عَمْرٍو الْكِنْدِيُّ، قَالَ: أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى جَوَامِيسَ لِبَشِيرٍ الطَّبَرِيِّ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ جَامُوسٍ قَالَ: فَاسْتَرْكَبَنِي فَرَكِبْتُ مَعَهُ أَنَا وَابْنٌ لَهُ قَالَ: فَلَقِيَنَا عَبِيدُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْجَوَامِيسِ مَعَهُمْ عِصِيُّهُمْ قَالُوا: يَا مَوْلَانَا ذَهَبَتِ الْجَوَامِيسُ فَقَالَ: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا فَاذْهَبُوا مَعَهَا فَأَنْتُمْ أَحْرَارٌ لِوَجْهِ اللهِ» ، فَقَالَ لَهُ

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٩١).

(٢) قاله ابن القيم في «الفوائد» (ص١٢).

(٣) صحيح أخرجه ابن أبي الدنيا في«الرضا» (١٤).

ابْنُهُ: يَا أَبَاهُ أَفْقَرْتَنَا فَقَالَ: «اسْكُتْ يَا بُنَيَّ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اخْتَبَرَنِي فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَزِيدَهُ»(١).

وعن عَبْد الْعَزِيزِ بْن عُمَيْرٍ، يَقُولُ: كَانَ فِي خِرَابَاتِ الْقَبَائِلِ بِمِصْرَ رَجُلٌ مَجْذُومٌ وَكَانَ شَابٌّ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ يَتَعَاهَدُهُ وَيَغْسِلُ خِرْقَهُ وَيَخْدِمُهُ فَتَعَرَّى فَتًى مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فَقَالَ لِلَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَعْرِفُ اسْمَ اللهَّ الْأَعْظَمَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَجِيءَ مَعَكَ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا عَمِّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَعْرِفُ اسْمَ اللهَّ الْأَعْظَمَ فَلَوْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَكْشِفَ مَا بِكَ قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي هُوَ الَّذِي ابْتَلَانِي فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَرُدَّهُ»(٢).

فَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اخْتِيَارَ الله لَهُ هُوَ الخَيْرُ، فَأَفْعَالُهُ وَأَقْدَارُهُ خَيْرٌ مَحْضٌ: عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ بِالْبَادِيَةِ لَهُ كَلْبٌ وَحِمَارٌ وَدِيكٌ فَالدِّيكُ يُوقِظُهُمْ لِلصَّلَاةِ وَالْحِمَارُ يَنْقُلُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَيَحْمِلُ لَهُمْ خِبَاءَهُمْ وَالْكَلْبُ يَحْرُسُهُمْ قَالَ: فَجَاءَ ثَعْلَبٌ فَأَخَذَ الدِّيكَ فَحَزِنُوا لِذَهَابِ الدِّيكِ وَكَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا ثُمَّ مَكَثُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ جَاءَ ذِئْبٌ فَخَرَقَ بَطْنَ الْحِمَارِ فَقَتَلَهُ فَحَزِنُوا لِذَهَابِ الْحِمَارِ فَقَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا ثُمَّ مَكَثُوا مَا شَاءَ اللهُ بعد ذلك ثُمَّ أُصِيبَ الْكَلْبُ فَقَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا ثُمَّ مَكَثُوا بعد ذلك مَا شَاءَ اللهُ، فَأَصْبَحُوا ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرُوا فَإِذَا قَدْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا ف ي«الرضا» (١٤) بسند ثابت.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا ف ي«الرضا» (١٤) بسند بسند لا بأس به.

سُبِيَ مَنْ حَوْلَهُمْ وَبَقُوا هُمْ قَالَ: وَإِنَّمَا أَخَذُوا أُولَئِكَ بِمَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّوْتِ وَالْجَلَبَةِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أُولَئِكَ شَيْءٌ يَجْلُبُ، قَدْ ذَهَبَ كَلْبُهُمْ وَحِمَارُهُمْ وَدِيكُهُمْ»[١].

وَسُئِلَ الشيخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

س: الشكر عند المصيبة هل هو واجب؟

ج: الوَاجِبُ: الصَّبْرُ؛ أَمَّا الرِّضَا وَالشُّكْرُ فَهُمَا مُسْتَحَبَّانِ، وَعِنْدَ الْمُصِيبَةِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: الصَّبْرُ، وَهُوَ وَاجِبٌ، وَالرِّضَا سُنَّةٌ، وَالشُّكْرُ أَفْضَلُ[٢].

قلت: فَلَيْسَ شَرْطًا فِي الرِّضَا أَنْ يَجِدَ العَبْدُ الأَلَمَ عِندَ حُدُوثِ البَلَاءِ، أَوْ أَنْ يَكْرَهَ مَا حَلَّ بِهِ.

بل الشرطُ أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَى الْحُكْمِ وَلَا يَتَسَخَّطَهُ.

س: هل مِن شَرطِ الرِّضَا ألا يُحِسَّ العبدُ بالألمِ والمَكَارِهِ عند المصائب؟

الجواب:

لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الرِّضَا أَلَّا يُحِسَّ بِالْأَلَمِ وَالْمَكَارِهِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا ف ي«الرضا» (١٤) بسند بسند صحيح.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١٣) ضمن أسئلة مقدمة لسماحته من الجمعية الخيرية بشقراء.

بَلْ أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَى الْحُكْمِ وَلَا يَتَسَخَّطَهُ، وَلِهَذَا أُشْكِلَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ الرِّضَا بِالْمَكْرُوهِ، وَطَعَنُوا فِيهِ.

وَقَالُوا: هَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَى الطَّبِيعَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ الصَّبْرُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الرِّضَا وَالْكَرَاهَةُ؟ وَهُمَا ضِدَّانِ.

وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ وُجُودَ التَّأَلُّمِ وَكَرَاهَةَ النَّفْسِ لَهُ لَا يُنَافِي الرِّضَا، كَرِضَا الْمَرِيضِ بِشُرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ، وَرِضَا الصَّائِمِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ وَالظَّمَأِ، وَرِضَا الْمُجَاهِدِ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ، وَغَيْرِهَا.

قُلْتُ: وَدَلِيلُ ذَلِكَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْضَى الخَلْقِ عَنْ اللهِ، وَأَرْضَاهُمْ إِلَيهِ ﷻ، وَمَعَ ذَلِكَ بَكَى ﷺ عِنْدَ مَوْتِ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**».

صحيح قد سبق.

وَبَكَى عِنْدَ مَوْتِ زَيْنَبَ ابْنَتِهِ رضي الله عنها، كما تَقَدَّمَ.

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ، يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي المَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ

عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا؟ قَالَ: **«هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»**

وَقَدْ تَأَثَّرَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ الإِفْكِ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، حَتَّى إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ...»[1].

وَطَرِيقُ الرِّضَا طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ، قَرِيبَةٌ جِدًّا، مُوصِلَةٌ إِلَى أَجَلِّ غَايَةٍ، وَلَكِنَّ فِيهَا مَشَقَّةً، وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَتْ مَشَقَّتُهَا بِأَصْعَبَ مِنْ مَشَقَّةِ طَرِيقِ الْمُجَاهِدَةِ. وَلَا فِيهَا مِنَ الْعَقَبَاتِ وَالْمَفَاوِزِ مَا فِيهَا، وَإِنَّمَا عَقَبَتُهَا هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَنَفْسٌ زَكِيَّةٌ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الله.

وَيُسَهِّلُ ذَلِكَ عَلَى الْعَبْدِ: عِلْمُهُ بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ وَرَحْمَتُهُ بِهِ، وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهِ، وَبِرُّهُ بِهِ، فَإِذَا شَهِدَ هَذَا وَهَذَا، وَلَمْ يَطْرَحْ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَرْضَى بِهِ وَعَنْهُ، وَتَنْجَذِبْ دَوَاعِي حُبِّهِ وَرِضَاهُ كُلُّهَا إِلَيْهِ: فَنَفْسُهُ نَفْسٌ مَطْرُودَةٌ عَنِ الله، بَعِيدَةٌ عَنْهُ، لَيْسَتْ مُؤَهَّلَةً لِقُرْبِهِ وَمُوَالَاتِهِ، أَوْ نَفْسٌ مُمْتَحَنَةٌ مُبْتَلَاةٌ بِأَصْنَافِ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٣).

س: هل البكاء على الميت يدل على عدم الرضا؟

الجواب:

البُكَاءُ عَلَى المَيِّتِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الرِّضَا، بَلْ هُوَ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَقَدْ بَكَى رَسُولُ الله ﷺ عِندَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ وَلَدِهِ، وَهُوَ أَتْقَى النَّاسِ وَأَخْشَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَأَرْضَاهُمْ بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ.

ففي «الصحيحين»(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**».

فِفِيهِ جَوَازُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَرِيضِ وَالْحُزْنِ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُخَالِفُ الرِّضَا بِالْقَدَرِ بَلْ هِيَ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ النَّدْبُ وَالنِّيَاحَةُ وَالْوَيْلُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

وَالثُّبُورُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا[1].

وفي الصحيح[2] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ عَلَى القَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، قَالَ: فَقَالَ: **«هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟»** فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: «فَانْزِلْ» قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ وَجِيهُ الدِّينِ مِنْ أَصْحَابِنَا – يعني من الحنابلة – فِي شَرْحِ الْهِدَايَةِ أَنَّهُ يَجُوزُ الْبُكَاءُ عَلَى الْمَيِّتِ إذَا تَجَرَّدَ عَنْ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ مِنْ نَدْبٍ وَنِيَاحَةٍ وَتَسَخُّطٍ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ الْمَحْتُومِ، وَالْجَزَعُ الَّذِي يُنَاقِضُ الِانْقِيَادَ وَالِاسْتِسْلَامَ لَهُ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كَلَامِهِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٤).

---

(١) قاله النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٥).

قَالَ وَرُوِيَ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ فَجَزِعَ الْحَسَنُ جَزَعًا شَدِيدًا فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: مَا سَمِعْت اللهَ عَابَ عَلَى يَعْقُوبَ ﷺ الْحُزْنَ حَيْثُ قَالَ ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٤)[١].

وَذَكَرَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ فِي التُّحْفَةِ الْعِرَاقِيَّةِ أَنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الْمَيِّتِ عَلَى وَجْهِ الرَّحْمَةِ مُسْتَحَبٌّ وَذَلِكَ لَا يُنَافِي الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ بِخِلَافِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنْهُ، وَبِهَذَا يُعْرَفُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا بَكَى عَلَى الْمَيِّتِ وَقَالَ «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ**» وَإِنَّ هَذَا لَيْسَ كَبُكَاءِ مَنْ يَبْكِي لِحَظِّهِ لَا لِرَحْمَةِ الْمَيِّتِ، وَإِنَّ الْفُضَيْلَ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ ضَحِكَ وَقَالَ: رَأَيْتُ أَنَّ اللهَ قَدْ قَضَى فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِمَا قَضَى اللهُ بِهِ حَالُهُ حَالٌ حَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى أَهْلِ الْجَزَعِ، فَأَمَّا رَحْمَةُ الْمَيِّتِ وَالرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ وَحَمْدُ اللهِ كَحَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَهَذَا أَكْمَلُ[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ.

أَحَدُهَا: مَنِ اجْتَمَعَ لَهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَرَحْمَةُ الطِّفْلِ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَحْمَةً وَالْقَلْبُ رَاضٍ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٤٢) بسند صحيح.

(٢) ذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٤).

الثَّانِي: مَنْ غَيَّبَهُ الرِّضَا عَنِ الرَّحْمَةِ، فَلَمْ يَتَّسِعْ لِلْأَمْرَيْنِ، بَلْ غَيَّبَهُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ. – والمعنى أنه قدَّم الرضا على الرحمة التي تكون في القلب فلا يُظهر شفقة ظنا منه أن هذا كمال الرضا، كحال بعض الناس حيث ظن أن الدمع مناف للرضا –.

الثَّالِثُ: مَنْ غَيَّبَتْهُ الرَّحْمَةُ وَالرِّقَّةُ عَنِ الرِّضَا فَلَمْ يَشْهَدْهُ، بَلْ فَنِيَ عَنِ الرِّضَا. – والمعنى غلب جانب الشفقة والرحمة والرقة على جانب الرضا حتى لم يستطع قلبه أن يسلم ويرضى.

الرَّابِعُ: مَنْ لَا رِضَا عِنْدَهُ وَلَا رَحْمَةَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ حُزْنُهُ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنَ الْمُيِّتِ. وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ. فَلَا إِحْسَانَ. وَلَا رِضَا عَنِ الرَّحْمَنِ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَالْأَوَّلُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الرِّضَا، وَالثَّانِي دُونَهُ، وَالثَّالِثُ دُونَ الثَّانِي، وَالرَّابِعُ هُوَ السَّاخِطُ[1].

س: مَا حُكْمُ التَّسَخُّطِ عِندَ المصِيبَةِ؟

الجَوَابُ:

التسخط عموماً حرام وقد يكون كفراً .

والنَّاسُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ عَلَى مَرَاتِبَ أَرْبَعَةٍ:

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٢).

المَرْتَبَةُ الأُولَى: التَّسَخُّطُ، وَهُوَ عَلَى أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ كَأَنْ يَسْخَطَ عَلَى رَبِّهِ يَغْتَاظُ مِمَّا قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَهذَا حَرَامٌ، وَقَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بِالْلِّسَانِ كَالدُّعَاءِ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ، وَهَذَا حَرَامٌ.

النَّوْعُ الثَالِثُ: أَنْ يَكُونَ بِالْجَوَارِحِ كَالطَّمِّ الْخُدُودِ، وَشَقِّ الْجُيُوبِ، وَنَتْفِ الشَّعْرِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ وَكُلُّ هَذَا حَرَامٌ مُنافٍ لِلصَّبْرِ الْوَاجِبِ.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الصَّبْرُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ

لَكِنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ

فَيَرَى أَنْ هَذَا الشَّيْءَ ثَقِيلٌ عَلَيْهِ لَكِنَّهُ يَتَحَمَّلُهُ وَهُوَ يَكْرَهُ وُقُوعَهُ وَلَكِنْ يَحْمِيهِ إِيمَانُهُ مِنَ السَّخَطِ، فَلَيْسَ وُقُوعُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءً عِندَهُ وَهَذَا وَاجِبٌ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالصَّبْرِ، فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُو إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُو؟اْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الرِّضا بِأَنْ يَرْضَى الإِنْسَانُ بِالْمُصِيبَةِ حَتَّى يَكُونَ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا سَوَاءً فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ وُجُودُهَا، وَلَا يَتَحَمَّلُ لَهَا حَمْلًا ثَقِيلًا، وَهَذِهِ مُسْتَحَبَّةٌ وَلَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي قَبْلَهَا ظَاهِرٌ لِأَنَّ الْمُصِيبَةَ وَعَدَمَهَا سَوَاءٌ فِي الرِّضَا عِندَ هَذَا أَمَّا الَّتِي قَبْلَهَا فَإِنَّ الْمُصِيبَةَ صَعُبَتْ عَلَيْهِ لَكِنَّهُ صَبَرَ عَلَيْهَا.

المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الشُّكْرُ وَهُوَ أَعْلَى ٱلْمَرَاتِبِ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَشْكُرَ ٱللهَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَصِيبَةٍ حَيْثُ عَرَفَ أَنَّ هَذِهِ ٱلْمُصِيبَةَ سَبَبٌ لِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِ وَرُبَّمَا لِزِيَادَةِ حَسَنَاتِهِ قَالَ ﷺ: **«مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»**(١)(٢).

فَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَىَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ وَقَدَّرَ لَهُ وَلَا يَقُولُ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٢) قاله الشيخ العثيمين رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وَسُئِلَ الشيخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

س: الشكر عند المصيبة هل هو واجب؟

ج: الوَاجِبُ: الصَّبْرُ؛ أَمَّا الرِّضَا وَالشُّكْرُ فَهُمَا مُسْتَحَبَّانِ، وَعِنْدَ الْمُصِيبَةِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: الصَّبْرُ، وَهُوَ وَاجِبٌ، وَالرِّضَا سُنَّةٌ، وَالشُّكْرُ أَفْضَلُ[1].

س: ما حكم الرضا بما قسمه الله للعبد من الرزق؟

الجواب:

هُنَا تَفْرِقَةٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ بَيْنَ ٱلْقَضَاءِ، وَبَيْنَ ٱلْمَقْضِيِّ، فالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَاجِبٌ إِجْمَاعًا.

وَأَمَّا الْمَقْضِيُّ فَنَحْنُ لَمْ نُؤْمَرْ بِالرِّضَا بِالْبَلَاءِ، وَلَمْ تَأْمُرِ الشَّرِيعَةُ بِتكَلُّفِ مَا لَا يُطِيقُ ٱلْإِنسَانُ.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ أَنَّ السَّخَطَ بِالْقَضَاءِ حَرَامٌ إِجْمَاعًا وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَاجِبٌ إِجْمَاعًا بِخِلَافِ الْمَقْضِيِّ... فَعَلَى هَذَا إِذَا ابْتُلِيَ الْإِنْسَانُ بِمَرَضٍ فَتَأَلَّمَ مِنْ الْمَرَضِ بِمُقْتَضَى طَبْعِهِ فَهَذَا لَيْسَ عَدَمَ رِضًا بِالْقَضَاءِ بَلْ عَدَمُ رِضًا بِالْمَقْضِيِّ، وَإِنْ قَالَ: أَيَّ شَيْءٍ عَمِلْت حَتَّى أَصَابَنِي مِثْلُ هَذَا، وَمَا ذَنْبِي وَمَا كُنْت أَسْتَأْهِلُ هَذَا فَهَذَا عَدَمُ رِضًا بِالْقَضَاءِ فَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَلَا نَتَعَرَّضُ لِجِهَةِ رَبِّنَا إِلَّا

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١٣) ضمن أسئلة مقدمة لسماحته من الجمعية الخيرية بشقراء.

بِالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلَا نَعْتَرِضُ عَلَيْهِ فِي مُلْكِهِ وَأَمَّا أَنَّا أُمِرْنَا بِأَنْ تَطِيبَ لَنَا الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا وَمُؤْلِمَاتُ الْحَوَادِثِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَمْ تَرِدْ الشَّرِيعَةُ بِتَكْلِيفِ أَحَدٍ بِمَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ نَوْعَانِ دِينِيٌّ وَكُونِيٌّ فالدِّينِيُّ يَجِبُ الرِّضَا بِهِ وَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ ٱلْإِسْلَامِ.

وَٱلْكُونِيُّ مِّنْهُ مَا يَجِبُ الرِّضَا بِهِ كَالنِّعَمِ ٱلَّتِي يَجِبُ شُكْرُهَا وَمِنْ تَمَامِ شُكْرِهَا الرِّضَا بِهَا.

وَمِنْهُ مَا لَا يُجَوَّزُ الرِّضَا بِهِ كَالْمَعَائِبِ وَالذُّنُوبِ الَّتِي يَسْخَطُهَا اللهُ وَإِنْ كَانَتْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

وَمِنْهُ مَا يُسْتَحَبُّ الرِّضَا بِهِ كَالْمَصَائِبِ، وَفِي وُجُوبِهِ قَوْلَانِ، هٰذَا كُلُّهُ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ الْمَقْضِيُّ.

وَأَمَّا الْقَضَاءُ ٱلَّذِي هُوَ وَصْفُهُ سُبْحَانَهُ وَفِعْلُهُ كَعِلْمِهِ، وَكِتَابِهِ، وَتَقْدِيرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، فَالرِّضَا بِهِ مِنْ تَمَامِ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا وَإِلٰهًا وَمَالِكًا وَمُدَبِّرًا فَبِهٰذَا

---

(١) قاله القرافي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفروق» (٤/ ٢٢٩).

التَّفْصِيلِ يَتَّبَيَّنُ الصَّوَابُ وَيَزُولُ اللَّبْسُ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مَفْرَقُ طُرُقٍ بَيْنَ النَّاسِ.(١).

فَيَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرْضَىٰ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ مِنْ رِزْقٍ وَغَيْرِهِ سَوَاءً كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ ٱلْأَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ لِعِبَادِهِ فَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﷻ.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢).

ففي الآية دليلٌ على أنَّ تَقْسِيمَ الأرْزاقِ مِنَ اللهِ ﷻ بِعَدْلٍ وحِكْمَةٍ، لِيَتَخِذَ بَعضُنا بَعْضاً سُخْرِيَاً.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»**(٢).

فَالتَّوَكُّلُ يَشْمَلُ الرِّضَا وَالْقَنَاعَةَ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لِلْعَبْدِ.

---

(١) «شفاء العليل» (ص٢٧٨).

(٢) **إسناده قوي:** أخرجه ابن ماجة (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠) وغيرهما، وهو مخرج بتمامه في كتابي «شفاء القلوب بالتوكل على علام الغيوب».

والرزقُ مقدرٌ تقديراً أزليا، وعمرياً، وسنوياً ويومياً، كما في قوله ﷺ: «**أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ**»(١).

فِيهِ الْحَثُّ الْقَوِيُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَالزَّجْرُ الشَّدِيدُ عَنِ الْحِرْصِ لِأَنَّ الرِّزْقَ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَ تَقْدِيرُهُ لَمْ يُغْنِ التَّعَنِّي فِي طَلَبِهِ وَإِنَّمَا شُرِعَ الِاكْتِسَابُ لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا الْحِكْمَةُ فِي دَارِ الدُّنْيَا(٢).

وَعن أُمِّ الدَّرْدَاءِ، قَالَت: سَمِعْتَ أَبَا الدَّرْدَاءِ، يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَهَرَبِهِ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٤).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٤٨٩).

(٣) **صحيح موقوفاً:** أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (١١٤٨) من طريق عَبْد الله بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عُبَيْدِ الله، يَقُولُ: سَمِعْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، تَقُولُ: سَمِعْتَ أَبَا الدَّرْدَاءِ يه.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩٠) من طريق الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاضِحٍ، ثنا يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ، ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ به مرفوعاً.

وقال عقبه: تَفَرَّدَ بِهِ عَنِ الثَّوْرِيِّ، يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ.

قلت ويوسف بن أسباط ضعيف، وكذا الراوي عنه النسيب بن واضح.

وفيه أنَّ الرِزْقَ مُقدرٌ ومَقسومٌ لا مَفَرَ مِنْهُ، فإذا كان ذلك كذلك فلا جَزَعَ ولا سَخَطَ.

فَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، هَذَا مَعَ ضِعْفِ كَثِيرٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَعَجْزِهَا عَنِ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (العنكبوت: ٦٠)، فَمَا دَامَ الْعَبْدُ حَيًّا، فَرِزْقُهُ عَلَى اللهِ، وَقَدْ يُيَسِّرُهُ اللهُ لَهُ بِكَسْبٍ وَبِغَيْرِ كَسْبٍ

فَمَنْ وَكَلَ أُمُورَهُ إِلَى اللهِ وَرَضِيَ بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ، وَيَخْتَارُهُ فَقَدْ حَقَّقَ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ثَمَرَةَ التَّوَكُّلِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ[1].

لَكِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ السَّعْيَ عَلَى الرِّزْقِ.

فإن الله أمر بالسعي فقال: ﴿وَابْتَغَوْا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ (الجمعة: ١٠).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:١٥). وَلَابُدَّ مِنْ طَلَبِ الْمَعِيشَةِ، لَاسِيَّمَا

وقد رجح الوقف الدارقطني في «العلل»، والبيهقي في «الشعب» فقال: فَذَكَرَهُ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ وَهَذَا أَصَحُّ وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) قاله ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٥٠٨).

مَنْ لَهُ عِيَالٌ لَا يَصْبِرُونَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»**(١).

وَكَانَ بِشْرٌ بْنُ الْحَارِثِ يَقُولُ «وَلَوْلَا أَنِّي لَيْسَ عَلَيَّ عِيَالٌ لَعَمِلْتُ وَاكْتَسَبْتُ»(٢).

وَكَذَلِكَ مَنْ ضَيَّعَ بِتَرْكِهِ الْأَسْبَابَ حَقًّا لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ رَاضِيًا بِفَوَاتِ حَقِّهِ، فَإِنَّ هَذَا عَاجِزٌ مُفْرِطٌ، وَفِي مِثْلِ هَذَا جَاءَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُولَنَّ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(٣).

فَالْإِنْسَانَ يَأْخُذُ بِالْكَيْسِ وَالسَّعْيِ فِي الْأَسْبَابِ الْمُبَاحَةِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ بَعْدَ سَعْيِهِ، ثُمَّ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٤)، والنسائي (٩١٣٣)، وابن حبان (٤٢٤٠) وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٩٩٦) **بلفظ «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ»**.

(٢) أخرجه ابن أب الدنيا في «الرضا» بسند لا بأس به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

فَإِنَّ الرِّضَا: أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ مَا قَسَمَهُ اللهُ لَكَ مِنْ رِزْقٍ إِنَّمَا هُوَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، فَلَا تَسْخَطْ.

وَالسَّعْيُ: أَنْ تَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ لِتَحْصِيلِ رِزْقٍ أَكْثَرَ فَإِنْ أَتَىٰ وَإِلَّا فَقَلْبُكَ رَاضٍ غَيْرَ سَاخِطٍ، فَإِنَّ ٱلسَّعْيَ وَالْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ مِنْ أَرْكَانِ ٱلتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي الطَّيْرِ: «**تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَعُودُ بِطَانًا**» فِيهِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ وَالسَّعْيُ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ.

فعَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ فَتَذَاكَرَا الْعَيْشَ فَقَالَ مَالِكٌ: «مَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ غَلَّةٌ يَعِيشُ فِيهَا»، وَقَالَ مُحَمَّدٌ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ غَدَاءً وَلَمْ يَجِدْ عَشَاءً، وَوَجَدَ عَشَاءً وَلَمْ يَجِدْ غَدَاءً وَهُوَ عَنِ اللهِ ﷻ رَاضٍ»، أَوْ فَقَالَ: «وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ»[1].

س: ما علاج عدم الرضا بما قسمه الله للعبد؟

الجواب:

عِنْدَمَا يَشْعُرُ العَبْدُ بِذَلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يُسْرِعَ لِعِلَاجِ قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ، فَإِنَّ هذَا مُؤَشِّرٌ خَطِيرٌ، وَنَذِيرُ شَرٍّ، وَضَعْفُ إِيمَانٍ.

وَعِلَاجُهُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اخْتِيَارَ اللهِ لَكَ خَيْرٌ مِنِ اخْتِيَارِكَ لِنَفْسِكَ.

---

(١) حسن أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (١٧).

وَهَذَا يَتَطَلَّبُ جُهْدًا وَمُجَاهَدَةً نَفْسِيَّةً، وَيَشْمَلُ عِدَّةَ جَوَانِبَ تَرْبَوِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ وَرُوحِيَّةٍ، وَأَبْرَزُ هذِهِ الْعِلَاجَاتِ هِيَ:

الإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ لَهُ هُوَ بِتَقْدِيرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا بِتَدْبِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهُ خَيْرٌ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة:٢١٦).

فَالإِيمَانُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ هُوَ أَسَاسُ الرِّضَا الدَّاخِلِيِّ.

وَيعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَه لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَه، وَمَا أَخْطَأَه لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَه، وَلَوْ مِاتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلَ النَّارَ، كما قال ﷺ: «**وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ**»(١).

التَّفَكُّرُ فِي نِعَمِ اللهِ ﷻ:

يَنبَغِي لِلإِنسَانِ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ، الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَيَشْكُرَ اللهَ عَلَى هذِهِ النِّعَمِ، بَدَلًا مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَى مَا يَنْقُصُهُ أَوْ مَا يُحْرَمُ مِنْهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤).

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أبو داود (٤٦٦٩) وأحمد (٥/ ١٨٢،١٨٣).

التأمُّلُ في النِّعَمِ يزيدُ من شُعورِ الرِّضا ويُخَفِّفُ من الألَمِ النَّفسيِّ.

التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ﷻ:

التوكُّلُ عَلَى اللهِ جلَّ جلالُه يَعني الاعتمادَ عليهِ في كُلِّ الأُمورِ، والقيامَ بما يُمكنُ مِنْ الأسْبَابِ، مع تَسْلِيمٍ كامِلٍ لِما يُقدِّرُهُ اللهُ، فقد قال ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١).

لتَوَكُّلُ يُخَفِّفُ القَلَقَ وَالتَّوَتُّرَ النَّاتِجَ عَن عَدَمِ الرِّضَا، إذ الرضا ثمرة من ثمار التوكل.

التَّسْلِيمُ للهِ ﷻ:

يَنبَغِي أن يَكونَ الإنسانُ في حالَةٍ منَ التَّسليمِ الكامِلِ لِما يُقَدِّرُهُ اللهُ، ويُعَدُّ التَّسليمُ والتَّساهُلُ معَ النَّفسِ أَحَدَ أُسُسِ وأَركانِ الرِّضا، حيثُ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(٢).

والتَّسليمُ للهِ يَعني القَبولَ بالقدَرِ، سَواءٌ كانَ فيهِ ما يُحِبُّ أو ما لا يُحِبُّ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، وغيره بسند ثابت.

(٢) حسن لغيره تقدم تخريجه.

الصَّبرُ:

الصَّبْرُ عَلَى مَا يَعْتَرِضُ الإِنْسَانَ مِنْ مَصَائِبَ أَوِ ابْتِلَاءَاتٍ مِنَ الأُمُورِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُ فِي الوُصُولِ إِلَى الرِّضَا.

وَالصَّبْرُ لَا يَعْنِي الاِسْتِسْلَامَ، بَلْ هُوَ القُدْرَةُ عَلَى مُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الإِيمَانِ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

هذِهِ الآيَةُ تَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الصَّبْرِ، وَالْمُصَابَرَةِ، وَالْمُرَابَطَةِ فِي سَبِيلِ الله، وَهِيَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الصَّبْرَ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فِي مُوَاجَهَةِ الصِّعَابِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

الاسْتِغْفَارُ:

قَدْ يَكُونُ الشُّعُورُ بِعَدَمِ الرِّضَا نَاتِجًا عَنْ ذَنْبٍ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ الله، فَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الاِسْتِغْفَارِ تُسَاعِدُ عَلَى طَهَارَةِ القَلْبِ وَالنَّفْسِ وَتَهْدِئَتِهِمَا، كما قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠).

الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ:

يُعْتَبَرُ مُجَالَسَةُ أَهْلِ الرِّضَا وَالَّذِينَ يُذَكِّرُونَ بِالله مِنَ الأَسْبَابِ الْمُهِمَّةِ لِتَقْوِيَةِ الرِّضَا فِي قَلْبِ العَبْدِ، وَتَجَنُّبِ الوُقُوعِ فِي بَرَاثِنِ القَلَقِ وَالتَّسَخُّطِ.

وَالصَّحْبَةُ الصَّالِحَةُ تَنْعَكِسُ إِيجَابًا عَلَى النَّفْسِ وَتُسَاعِدُ فِي تَخْفِيزِ القَلْبِ عَلَى القَبُولِ بِكُلِّ مَا هُوَ مُقَدَّرٌ.

الدُّعَاءُ:

الدُّعاءُ مِنَ الوَسائِلِ العَظيمةِ الَّتي تُعِينُ العَبدَ على الرِّضا، فيَجِبُ على المُسلِمِ أن يَدعُوَ اللهَ أن يَمنَحَهُ الرِّضا والقَناعَةَ، وأن يَشرَحَ صَدرَهُ لِما قُدِّرَ له. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافِر:٦٠) فاللهُ ﷻ أَمرَنا بالدُّعاءِ، ووَعَدَنا بالاستِجابَةِ.

والدُّعاءُ يُعتَبَرُ وسيلَةً لِطَلَبِ العَونِ مِنَ اللهِ، وتَهدِئَةِ النَّفسِ، وخاصَّةً عِندَما يَشعُرُ العَبدُ بعدَمِ الرِّضا أو في أوقاتِ الشِّدَّةِ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

المُجَاهَدَةُ النَّفْسِيَّةُ:

يَجِبُ أن يُجاهِدَ العَبدُ نَفْسَهُ لِيَكُونَ راضِيًا بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ.

فَالنَّفْسُ تَحْتَاجُ إلى تَدْرِيبٍ وَتَوْجِيهٍ دَائِمَيْنِ لِتُحَقِّقَ الرِّضَا عَنْ قَضَاءِ اللهِ.

الاسْتِمْتَاعُ بِالْحَاضِرِ:

يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ فِي الحَاضِرِ وَيَسْتَمْتِعَ بِمَا لَدَيْهِ، دُونَ التَّفْكِيرِ الدَّائِمِ فِي المُسْتَقْبَلِ، أَوِ المُقَارَنَةِ مَعَ الآخَرِينَ.

وَخُلاصَةُ ذَلِكَ:

أَنَّ عِلَاجَ عَدَمِ الرِّضَا يَبْدَأُ بِتَصْحِيحِ الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ، وَبِتَذْكِيرِ النَّفْسِ بِنِعَمِ اللهِ، وَتَوْسِيعِ دَائِرَةِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ.

وَكَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الصَّبْرِ وَالدُّعَاءِ، مَعَ التَّحَلِّي بِالاسْتِغْفَارِ، وَتَرْكِ التَّشَكِّي وَالتَّسَخُّطِ عَلَى مَا قَسَمَهُ اللهُ لَكَ.

س: ما ثمرة رضا العبد بما قسمه الله له من الرزق؟

الجواب:

ثَمَرَةُ رِضَا العَبْدِ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ عَظِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ.

وَذَلِكَ يُورِثُ القَلْبَ الطُّمَأْنِينَةَ وَرَاحَةَ النَّفْسِ، وَعَدَمَ حَسَدِ الغَيْرِ، وَعَدَمَ التَّسَخُّطِ، فَيَعِيشُ سَالِمًا غَيْرَ مُتَطَلِّعٍ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧).

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ: هِيَ الرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ.

وهو من أسباب البركة كما قال ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: **«يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ**

بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»(١).

«إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ، وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ»(٢).

س: هل الرِّضا سبب في البركة؟

الجواب:

نَعَم، الرِّضا سَبَبٌ في البَرَكَةِ في كُلِّ شَيءٍ.

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»(٣).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَثُّ عَلَى التَّعَفُّفِ وَالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِمَا تَيَسَّرَ فِي عَفَافٍ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا وَالْإِجْمَالِ فِي الْكَسْبِ وَأَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ الْإِنْسَانُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٣٥).

بِكَثْرَةِ مَا يَحْصُلُ لَهُ بِإِشْرَافٍ وَنَحْوِهِ فَإِنَّهُ لَا يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى يَمْحَقُ اللهُ الربا ويربى الصدقات(١).

والرِّضا بالمَقسُومِ يُورِثُ القَناعَةَ، الَّتي هِيَ مِن أَسبَابِ البَرَكَةِ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**(٢).

فهو يُورِث القَناعة، ويَمنع السَّخَط، ويُرضِي الله، ويُطمئن القلب، وهذه كلها أبوابٌ للبركة في المال، والعمر، والنفس، والذرية.

س: هل يمنع الرضا طلب الحظ من الدنيا؟

الجواب:

الرِّضا لَا يَمْنَعُ طَلَبَ الحَظِّ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ يَضَبِّطُهُ وَيُهَذِّبُهُ.

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا أَنَّ الرِّضا قَبُولُ مَا قَسَمَهُ اللهُ لَكَ، وَعَدَمُ التَّسَخُّطِ أَوِ الاعْتِرَاضِ.

لَكِنَّهُ لَا يَعْنِي الْكَسَلَ أَوْ تَرْكَ الْعَمَلِ أَوْ تَرْكَ السَّعْيِ عَلَى الرِّزْقِ.

---

(١) قاله النووي في «شرح مسلم» (٧/ ١٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

بَلِ الْمُؤْمِنُ الرَّاضِي يَسْعَى فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَيَطْلُبُ الْحَلَالَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ، وَيَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ، سَوَاءً كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ وَلَا جَزَعٍ.

قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك).

وقال تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمْرَ أَنْ تُقَدِّمَ الْفَضْلَ، وَأَنْ تُمْسِكَ مَا يُغْنِيك»(١).

لِأَنَّ الإِنسَانَ لَهُ نَصِيبٌ مَشْرُوعٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُذَمُّ طَلَبُ الحَظِّ مِنْهَا إِذَا كَانَ بِحَقٍّ وَبِغَيْرِ طَمَعٍ مَذْمُومٍ أَوْ حَرْصٍ مُهْلِكٍ.

وَالرِّضَا لَا يَعْنِي تَرْكَ مَا لَكَ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ أَنْ تَرْضَى بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ لَكَ فِيهَا بَعْدَ السَّعْيِ وَبَذْلِ السَّبَبِ.

وعنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»**(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٣١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣١٢٢) بسند صحيح.

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان (٣٢٣٩) وغيره.

وَحِينَ أَمَرَ بِالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الْكَسْبِ أَصْلًا، وَلَكِنْ كَرِهَ لَهُ شِدَّةَ الْحِرْصِ وَكَثْرَةَ الْهَمِّ فِعْلَ مَنْ يَرَى أَنَّ رِزْقَ اللهِ إِنَّمَا يُحَصَّلُ بِجِدِّهِ وَجُهْدِهِ دُونَ تَقْدِيرِ خَالِقِهِ وَرَازِقِهِ(١).

فَالرَّاضِي: مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ يَعْمَلُ وَيَسْعَى وَيُجْتَهِدُ، لَكِنْ قَلْبُهُ مَعَلَّقٌ بِاللهِ، إِنْ أَعْطَاهُ حَمِدَ اللهَ وَشَكَرَ، وَإِنْ مَنَعَهُ رَضِيَ مِنْ غَيْرِ سَخَطٍ وَلَا اعْتِرَاضٍ. وَلَكِنَّهُ يَمْنَعُ التَّعَلُّقَ الْمُفْرِطَ بِهَا، وَيَمْنَعُ السَّخَطَ إِنْ قَلَّ نَصِيبُ الْعَبْدِ مِنْهَا.

وقد أمر النبي ﷺ بالسعي ففي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»**(٢).

فَالأَمْرُ بِالسَّعْيِ مَعَ الرِّضَا بِالنَّتَائِجِ الَّتِي قَدَّرَهَا اللهُ، وَهُوَ كَمَالُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ وَالعُبُودِيَّةِ لَهُ.

ويوضح ذلك ويبينه قوله ﷺ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**(٣).

---

(١) قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

«وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»: الرِّضى الدَّاخِلِيُّ، فَقَد سَبَقَ أَنَّ الرِّضا مِن أَعمالِ القُلوبِ.

وكَانَ يَقُولُ أَبُو عُثْمَانَ النيسابوري[1] فِي مَوَاعِظِهِ: «يَا عَبْدَ الله فِيمَا ذَا تُتْعِبُ قَلْبَكَ؟ وَتُنَازِعُ إِخْوَانَكَ، وَتُعَادِي عَلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالْعِزِّ أَشْكَالَكَ وَأَخْدَانَكَ؟ وَتَعْمَلُ فِي هَلَكَةِ حسناتك بِالْحَسَدِ لِمَنْ هُوَ فَوْقَكَ؟ كَأَنَّكَ لَمْ تُؤْمِنْ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ؟ فَاسْتَعْمِلَ الْعِلْمَ فِي ظَاهِرِكَ إِنْ كُنْتَ تَاجِرًا أَوْ كَاسِبًا أَوْ زَارِعًا، وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ، وَاتْرُكِ الْحَرَامَ وَالشُّبُهَاتِ جَمِيعًا، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَحَظَّهَا مِنْ عِزِّهَا وَرِيَاسَتِهَا وَرِزْقِهَا، وَلَوْ هَرَبَ الْعَبْدُ مِنْ رِزْقِهِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ، كَمَا لَوْ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ، قَالَ: **وَالْيَقِينُ لَا يَمْنَعُ الْمُوقِنِينَ مِنْ طَلَبِ الْحَظِّ الْوَافِي مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْفُضُولِ رِضًا بِالْقَلِيلِ، وَزُهْدٌ فِي الْكَثِيرِ اتِّبَاعًا لِرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﷺ، وَلِأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَالزَّاهِدِينَ مَعَ مَا وَصَفْنَا مِنَ الْأَمْنِ بِمَالِكِ، وَالْإِيَاسِ مِمَّا لَيْسَ لَكَ، وَأَنَّ مَا

---

(١) الشَّيْخُ، الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، الوَاعِظُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، الأُسْتَاذُ، أَبُوعُثْمَانَ سَعِيْدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ سَعِيْدِ بنِ مَنْصُوْرٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ، الحِيْرِيُّ، الصُّوْفِيُّ.

وقَالَ الحَاكِمُ: قَدِمَ نَيْسَابُوْرَ لِصُحْبَةِ الأُسْتَاذِ أَبِي حَفْصٍ النَّيْسَابُوْرِيِّ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ مَشَايِخُنَا أَنَّ أَبَا عُثْمَانَ كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ مَجْمَعَ العُبَّادِ وَالزُّهَّادِ.

وَلَمْ يَزَلْ يَسْمَعُ وَيُجِلُّ العُلَمَاءَ وَيُعَظِّمُهُم.

أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْيَقِينَ يَمْنَعُ طَلَبَ الْقُوتِ وَالْكَفَافِ فَقَدْ جَهِلَ الْيَقِينَ وَخَالَفَ سُنَنَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ مَعَ صِدْقِ التَّوَكُّلِ الْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ، وِخِلَافُهُمْ خِلَافُ الْحَقِّ، وَمُوَافَقَتُهُمْ مُوَافَقَةُ الْحَقِّ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[١].

وَخُلَاصَةُ مَا سَبَقَ:

دِينُنَا يَأْمُرُنَا بِالسَّعْيِ الْحَلَالِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَعْمَلُ وَيَأْمُرُ الصَّحَابَةَ بِالْعَمَلِ، لَكِنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ أَنْ الرِّضَا بِمَا قَسَمَهُ اللهُ هُوَ سَبَبُ الْغِنَى الْحَقِيقِيِّ.

فَالْعَبْدُ الصَّادِقُ فِي طَلَبِ الرِّضَا: يَسْعَى فِي طَلَبِ الرِّزْقِ لِيَنَالَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، فَإِذَا جَاءَهُ مَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ رَضِيَ وَقَنِعَ بِمَا آتَاهُ وَلَا يَتَسَخَّطُ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْهُ لَا يَتَسَخَّطُ وَيَطْلُبُهُ مِنَ الْحَرَامِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»**[٢].

---

(١) **صحيح:** أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٢١٩).

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن حبان (٣٢٣٩) وغيره من طرق عن عَمْرو بْن الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله به.

وَفِي هَذَا مَا دَلَّ أَنَّهُ أَمَرَ بِطَلَبِ الرِّزْقِ إِلَّا أَنَّهُ أَمَرَ بِإِجْمَالِهِ، وَإِجْمَالُ الطَّلَبِ هُوَ أَنْ يَطْلُبَهُ مِنَ الْحَلَالِ مُعْتَمِدًا عَلَى اللهِ ﷻ، وَلَا يُلَاحِظَ فِي طَلَبِهِ قَوَاهُ وَمَكَايِدَهُ وَحِيَلَهُ وَلَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْحَرَامِ(١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ:

وَالرِّضَا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ فَكَمَالُهُ هُوَ الْحَمْدُ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ فَسَّرَ الْحَمْدَ بِالرِّضَا؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَمْدُ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذَلِكَ بِتَضَمُّنِ الرِّضَا بِقَضَائِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: **«اعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ»**(٢).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ» ، أَوْ قَالَ: «فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»(٣).

---

(١) قاله البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٦).

(٢) الصحيح فيه الوقف، وله حكم الرفع: أخرجه أحمد (٤ / ٤٣٤) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ فذكره.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٦) بسند صحيح إلى سعيد.

والحديث روي مرفوعاً ولا يصح، رواه حبيب بن أبي ثابت واختلف عنه.

عِلْمُهُ بِأَنَّ اخْتِيَارَ الله لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**.

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ كُلَّ قَضَاءٍ يَقْضِيهِ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ وَيَشْكُرُ عَلَى السَّرَّاءِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ[1].

س: ما علاقة الرضا بالقناعة والزهد؟

الجواب:

عَلاقةُ الرِّضا بِالقَناعَةِ وَالزُّهدِ هِيَ عَلاقةُ تَرابُطٍ وَتَكامُلٍ، حَيثُ تُعتَبَرُ هذِهِ الثَّلاثُ صِفاتٍ مِن مَقَامَاتِ الإيمَانِ العَالِيَةِ، وَكُلُّ واحِدَةٍ مِنها تَدعَمُ الأُخرَى وَتُغَذِّيها، وَهِيَ تَدُورُ حَولَ الانفِصَالِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالدُّنيَا، وَالتَّسليمِ الكامِلِ لله.

فرواه عنه المسعودي، وقيس بن الربيع، وشعبة عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

والمسعودي اختلط ولم يميز حديثه، وقيس بن الربيع ضعيف، وطريق شعبة رواه عنه نصر بن حماد الوراق وهو متروك.

وخالفهم ابن المبارك عن مسعر عن حبيب عن سعيد قوله وهو الصواب، والله أعلم.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٣).

أوَّلًا: تَعريفاتٌ مُوجَزَةٌ لِثَلاثَةِ خِصَالٍ:

الرِّضا: طُمَأنينَةُ القَلبِ بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَعَدَمُ السَّخَطِ عَلَى مَا فَاتَ أَو نَزَلَ.

القَناعَة: الإكتِفَاءُ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ مِن رِزقٍ، وَعَدَمُ التَّطَلُّعِ لِمَا فِي أَيدِي النَّاسِ.

الزُّهد: تَركُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنيَا، وَالرَّغبَةُ فِي الآخِرَةِ، مَعَ استِعمَالِ الدُّنيَا بِمَا يُرضِي اللهَ فَقَط.

عَلاقةُ الرِّضا بِالقَناعَةِ:

- الرَّاضِي لا يَتَطَلَّعُ إلى مَا لَم يُكتَبْ لَهُ، وَهذِهِ هِيَ القَناعَةُ بِعَينِهَا.

- مَن رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، ارتَاحَ قَلبُهُ، وَلَم يَطمَعْ فِي الزِّيادَةِ بِالحَرَامِ أَوِ الذُّلِّ.

- القَناعَةُ ثَمَرَةٌ مِن ثِمَارِ الرِّضا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

إذًا: مَن رَضِيَ، قَنِعَ، وَمَن قَنِعَ، شَعَرَ بِالغِنَى، وَابتَعَدَ عَنِ الطَّمَعِ، وَحَقَّقَ الرِّضَا الدَّاخِلِيَّ.

عَلاقةُ الرِّضا بِالزُّهدِ:

- الزُّهدُ لا يَتَحَقَّقُ إلَّا إذَا رَضِيَ العَبدُ عَنِ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ، فَتَرَكَ مَا لا يَنفَعُهُ فِي الآخِرَةِ.

- الزَّاهِدُ لا يَتَعَلَّقُ بِشَيءٍ مِنَ الدُّنيَا، لِأَنَّهُ يَعلَمُ أَنَّ مَا عِندَ اللهِ خَيرٌ وَأَبقَى، وَهذَا لا يَكُونُ إِلَّا بِرِضًا تَامٍّ عَنِ اللهِ.

- الرِّضا يَجعَلُ الزُّهدَ مَوقِفًا قَلبِيًّا صَادِقًا، لا مُجَرَّدَ تَركٍ ظَاهِرٍ لِلأَشيَاءِ.

قَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ بْنُ حَنبَلٍ:

الزُّهدُ عَلَى ثَلاثِ دَرَجَاتٍ: تَركُ الحَرَامِ، ثُمَّ تَركُ الفُضُولِ، ثُمَّ تَركُ مَا يَشغَلُ عَنِ اللهِ.

وَكُلُّ هَذَا لا يُمكِنُ إِلَّا إِذَا رَضِيَ العَبدُ بِحُكمِ اللهِ وَتَقدِيرِهِ.

العلاقة بين الثلاثة باختصار:

المفهوم	النتيجة	الصلة
الرضا	يطمئن القلب	يؤدي إلى القناعة والزهد
القناعة	يكتفي العبد بما عنده	ثمرة من الرضا
الزهد	يترك التعلّق بالدنيا	نتيجة للرضا عن الله وثقة في الآخرة

وإليك مثال واقعي:

تخيل شخصًا فقيرًا لكنه:

* راضٍ بما قسم الله له.

* لا يمدّ يده للناس.

* يعمل ويتوكل على الله.

* لا يحسد الأغنياء.

* لا يتمنى الدنيا إلا فيما يرضي الله.

هذا الشخص جمع بين الرضا والقناعة والزهد، وهو في الحقيقة أغنى الناس قلبًا، ولو لم يكن عنده مال.

الخُلاصَةُ:

الرِّضا يُوَلِّدُ القَناعَةَ، ويُغَذِّي الزُّهدَ.

فَكُلُّ مَن رَضِيَ عَنِ الله، قَنِعَ بِمَا عِندَهُ، وَزَهِدَ فِيمَا لَيسَ عِندَهُ، وَفِيمَا لا يَنفَعُهُ، وَامتَلأَ قَلبُهُ بِالسَّكِينَةِ.

س: كيف يسهم الرضا في تهذيب النفس وتقوية الصلة بالله؟

الجواب:

الرِّضَا يَكْبَحُ جِمَاحَ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ وَالاعْتِرَاضِ.

لِأَنَّهُ يُعَلِّمُ النَّفْسَ القَبولَ وَالتَّسْلِيمَ لِمَا قَدَّرَهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، فَيَزُولُ عَنْهَا الطَّمَعُ المَذْمُومُ، وَالجَزَعُ عِندَ المُصِيبَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١) يَعْنِي: يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

قَالَ عَلْقَمَةُ: هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَى(١).

الرضا يُطَهِّرُ القَلْبَ مِنَ الحَسَدِ وَالاعْتِرَاضِ.

لِأَنَّهُ إِذَا رَضِيَ العَبدُ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ، سَلِمَ قَلْبُهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

فَقَدْ قَالَ ﷺ: **«لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»**(٢).

و«**غِنَى النَّفْسِ**»: أَلَّا يَكُونَ لَهَا طَمَعٌ وَمَيْلٌ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

ولذلك لما جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله: دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ؟ فَقَالَ: «**ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»(٣).

الرِّضا يُرَبِّي النَّفْسَ عَلَى شُكْرِ النِّعَمِ.

لِأَنَّ الشُّكْرَ ثَمَرَةٌ مِن ثِمَارِ الرِّضا، وَهُوَ أَعْلَى مِن مَقَامِ الرِّضا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٣) في جميع طرقه مقال: أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والروياني في «مسنده» (٨١٤ / ٢) وغيرهما، ومعناه صحيح، وقد خرجته في كتابي «التعليقات الندية على الأربعين النووية».

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ - عَلَيْكُمْ»(١).

وَفِيهِ أَنَّ الرِّضا بِالحَالِ يُورِثُ شُكْرَ النِّعْمَةِ وَعَدَمَ احْتِقَارِهَا.

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٢).

فَالرِّضا يَقُودُ العَبدَ إِلَى شُكْرِ النِّعَمِ عِندَ السَّرَّاءِ.

س: كَيْفَ يُسهِمُ الرِّضا فِي تَقْوِيَةِ الصِّلَةِ بِاللهِ؟!

الجَوَابُ:

الرِّضا بِاللهِ ثَمَرَةٌ مِن مَحَبَّتِهِ ﷻ.

لِأَنَّهُ يُعَزِّزُ التَّوحِيدَ وَالثِّقَةَ بِاللهِ، فَحِينَ يَرْضَى العَبدُ، يَكُونُ قَدْ سَلَّمَ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ، وَهذَا مِن كَمَالِ التَّوحِيدِ.

وَيَزْدَادُ يَقِينُهُ بِأَنَّ اللهَ حَكِيمٌ فِي قَضَائِهِ، رَحِيمٌ فِي بَلَائِهِ، عَلِيمٌ بِحَالِهِ. وَيُطَهِّرُ القَلْبَ مِنَ التَّسَخُّطِ وَالاعْتِرَاضِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

فَقَلْبُ الرَّاضِي لا يَعْتَرِضُ عَلَى أَقْدَارِ الله، بَلْ يَسْتَسْلِمُ بِمَحَبَّةٍ، فَيُصْبِحُ قَلْبًا نَقِيًّا، مُهَيَّأً لِقُرْبِ الله.

وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمُنَاجَاةِ وَالدُّعَاءِ الخَاشِعِ، فَالرَّاضِي لا يَشْكُو، لَكِنَّهُ يُنَاجِي، فَيَجِدُ لَذَّةً فِي الدُّعَاءِ، وَالحَدِيثِ مَعَ الله يُصْبِحُ أَصْدَقَ وَأَقْرَبَ.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّ الله يَعْقُوبَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ﴾ (يُوسُف: ٨٦).

فَفِي هذِهِ الآيَةِ، اخْتَارَ يَعْقُوبُ ﷺ أَنْ يَشْكُوَ إِلَى الله لا إِلَى النَّاسِ، وَرَغْمَ حُزْنِهِ الشَّدِيدِ، لَمْ يَتَسَخَّطْ، وَلَمْ يَجْزَعْ، بَلْ نَاجَى رَبَّهُ بِشَكْوَاهُ.

قيل: هُوَ شَكَا إِلَى الله لا عَلَيْهِم، فَالرَّاضِي لا يُمْنَعُ مِنَ البَوْحِ لله، وَلَكِنْ لا يَعْتَرِضُ عَلَى حُكْمِ الله.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ، بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًى عَاجِلٍ»**[1].

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، وأحمد (١/ ٣٨٩) وغيرهما من طريق سَيَّارٍ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ طَارِقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ به مرفوعاً. وجاء عند أحمد وغيره سيار أبو الحكم وهو خطأ كما بين الدارقطني في «العلل» (٥/ ١١٥) فقال: وَقَوْلُهُمْ: سَيَّارٌ أَبُو الْحَكَمِ وَهْمٌ، وَإِنَّمَا هُوَ سَيَّارٌ أَبُو حَمْزَةَ الْكُوفِيُّ.

أَيْ أنَّ مَن طَلَبَ الفَرَجَ مِنَ النَّاسِ شُغِلَ عَنِ اللهِ، أَمَّا مَن تَوَجَّهَ إِلَى اللهِ وَحدَهُ، فَإِنَّ اللهَ لا يُخَيِّبُهُ أَبَدًا.

وَيَجْلِبُ الرِّضا السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، لِأَنَّ الرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ تَجْعَلُ القَلْبَ مُتَعَلِّقًا بِاللهِ وَحدَهُ، لا يَطْلُبُ سِوَاهُ، وَلا يَشْكُو لِغَيْرِهِ، فَتَقْوَى صِلَةُ العَبدِ بِرَبِّهِ.

وَيَزِيدُ الرِّضا مِنَ الصَّبْرِ وَالاحْتِسَابِ، فَيَرْفَعُ العَبدَ مِن مَنزِلَةِ الصَّابِرِ إِلَى مَنزِلَةِ الرَّاضِي، وَهِيَ أَعْلَى، فَيَنَالُ بِذَلِكَ حُبَّ اللهِ وَرِضَاهُ.

فَالرِّضا هُوَ بَابُ الطُّمَأْنِينَةِ، وَمِفْتَاحُ القُرْبِ مِنَ اللهِ، فَكُلَّمَا رَضِيتَ عَنِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنكَ، وَزَادَكَ قُرْبًا، وَشَرَحَ صَدْرَكَ، وَفَتَحَ لَكَ أَبْوَابَ الهِدَايَةِ وَالنُّورِ.

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ (البينة:٨).

س: هل الرضا ينافي الدعاء بتغيير الحال أو الشكوى إلى الله؟

الجواب:

لَو قُلْنَا إِنَّ الرِّضا تَسْلِيمُ القَلْبِ وَطُمَأْنِينَتُهُ لِحُكْمِ اللهِ وَعَدَمُ التَّسَخُّطِ، فَإِنَّ تَرْكَ الدُّعَاءِ بِالكُلِّيَّةِ لَيْسَ مِنَ الرِّضَا، بَلْ قَدْ يَكُونُ مِنَ الغَفْلَةِ.

كَذَلِكَ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ بَشِيرٍ، عَنْ سَيَّارٍ أَبِي حَمْزَةَ، وَهُوَ الصَّوَّابُ.

وَاللهُ ﷻ قَدْ أَمَرَ بِالدُّعَاءِ، وَوَعَدَ بِالاسْتِجَابَةِ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢).

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ أَرْضَى النَّاسِ عَنِ الله، وَأَرْضَاهُمْ بِقَضاءِ الله وَقَدَرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَدْعُو بِتَغْيِيرِ الحَالِ، فَكَانَ يَقُولُ: **حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» قَالَ: يَعْنِي الْخَسْفَ**(١).

وَلَوْ كَانَ الرِّضَا يُنَافِي الدُّعَاءَ لَمَا دَعَا ﷺ بِالعَافِيَةِ.

وَكَانَ إِذَا اشْتَكَى ﷺ عَاوَذَ نَفْسَهُ بِالْمُعَوِّذَاتِ(٢).

وَتَدَاوَى النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَرَ بِالتَّدَاوِي، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»**(١).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥) وغيره.

(٢) عند البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ الله، فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ**»(٢).

وَأَيُّوبُ عليه السلام الَّذِي ضُرِبَ الْمَثَلُ بِرِضَاهُ وَصَبْرِهِ دَعَا رَبَّهُ، قَالَ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (ص: ٨٣).

قال ابن القيم رحمه الله:

الْمَقْدُورَ قُدِّرَ بِأَسْبَابٍ، وَمِنْ أَسْبَابِهِ الدُّعَاءُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ مُجَرَّدًا عَنْ سَبَبِهِ، وَلَكِنْ قُدِّرَ بِسَبَبِهِ، فَمَتَى أَتَى الْعَبْدُ بِالسَّبَبِ، وَقَعَ الْمَقْدُورُ، وَمَتَى لَمْ يَأْتِ بِالسَّبَبِ انْتَفَى الْمَقْدُورُ...

- وَلِذَلِكَ إِذَا قُدِّرَ وُقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ، لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ!-.

فالدُّعَاءُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، فَإِذَا قُدِّرَ وُقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ(٣).

وَبِهَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ الدُّعَاءَ أَحَدُ أَسْبَابِ وُقُوعِ مَا يَرِيدُهُ العَبْدُ، وَهُوَ مِن قَدَرِ اللهِ، فَلَا يُنَافِي الرِّضَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨) وغيره.

(٣) «الداء والدواء» (ص١٧).

وَقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ: الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ(١).

وَهذَا يَعْنِي أَنَّ مُدَاوَمَةَ الدُّعَاءِ تَعُدُّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعَالِجُ بِهِ العَبْدُ رُوحَهُ، وَلَا يُنَافِي الرِّضَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَبْلَغِ تَعْبِيرٍ عَنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَلْهَمَهُ دُعَاءَهُ وَالاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَجَعَلَ اسْتِعَانَتَهُ وَدُعَاءَهُ سَبَبًا لِلْخَيْرِ الَّذِي قَضَاهُ لَه(٢).

وَكُلُ خَيْرٍ فَأَصْلُهُ التَّوْفِيق وَهُوَ بيد الله ... فمفتاحه الدُّعَاء والافتقار وَصدق اللجأ وَالرَّغْبَة والرهبة إِلَيْهِ فَمَتَى أعْطى العَبْد هَذَا الْمِفْتَاح فقد أَرَادَ أَن يفتح لَهُ وَمَتى أضلّه عَن الْمِفْتَاح بَقِي بَاب الْخَيْر مُرْتَجًا دونه(٣).

وَالدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الوُصُولِ إِلَى مَا عِنْدَ الله، مِثْلَ مَا وَصَفَهُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَعَلَيْهِ فَالرَّاضِي مِنَ العِبَادِ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الدُّعَاءِ، بَلْ يَدْعُو بِاطْمِئْنَانٍ وَسَكِينَةٍ.

---

(١) «الداء والدواء» (ص١١).

(٢) «اقتضاء الصراط» (٢/ ٢٢٩).

(٣) قاله ابن القيم في «الفوائد» (ص٩٧).

س: كيف يكون الرضا مفتاحا للسعادة الحقيقية في الحياة؟

الجواب:

الرِّضَا مِنْ أَعْمَقِ القِيَمِ وَالأَخْلَاقِ الَّتِي إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي قَلْبِ العَبْدِ عَاشَ فِي سَكِينَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَسَعَادَةٍ، بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالزَّمَانِ.

الرِّضَا يُحَرِّرُ القَلْبَ مِنَ القَلَقِ وَالاضْطِرَابِ.

وَذَلِكَ أَنَّ مَن رَضِيَ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ، لَا يَأْتِي عَلَى قَلْبِهِ – لَوْ كَانَ كَذَا، لَيْتَنِي فَعَلْتُ كَذَا – بَلْ يَسْكُنُ إِلَى اخْتِيَارِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَهذَا يَزْرَعُ فِي القَلْبِ الطُّمَأْنِينَةَ، وَيُبْعِدُ الحُزْنَ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٣).

الرِّضَا يَفْتَحُ بَابَ القَنَاعَةِ.

فَالقَنَاعَةُ أَن يَكْتَفِيَ العَبْدُ بِمَا آتَاهُ اللهُ، فَيَسْتَمْتِعَ بِمَا عِنْدَهُ، بَيْنَمَا غَيْرُ الرَّاضِي يَظَلُّ يَنظُرُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ فَلَا يَشْبَعُ أَبَدًا.

وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**(١).

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ، وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤) وغيره، تقدم.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ**(١) **خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**(٢)**، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»**(٣).

ففيه: الْحَثُّ عَلَى التَّعَفُّفِ وَالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِمَا تَيَسَّرَ فِي عَفَافٍ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا وَالْإِجْمَالِ فِي الْكَسْبِ وَأَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ الْإِنْسَانُ بِكَثْرَةِ مَا يَحْصُلُ لَهُ بِإِشْرَافٍ وَنَحْوِهِ فَإِنَّهُ لَا يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ الله تَعَالَى ﴿يَمْحَقُ الله الربا ويربى الصدقات﴾(٤).

الرِّضَا يُقَرِّبُ العَبْدَ مِنْ الله ﷻ.

الرِّضَا مِنْ أَعْظَمِ مَنَازِلِ الإِيمَانِ، وَهُوَ أَن يَرْضَى العَبْدُ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ، وَيُسْلِمَ لِحُكْمِهِ، وَيَطْمَئِنَّ إِلَى قَضَائِهِ، دُونَ سَخَطٍ أَوْ شَكْوَى.

---

(١) الفاضل عن الكفاية، ولا شكَّ في أن إخراجه أفضل من إمساكه، فأما إمساكه عن الواجبات فشرٌّ على كل حال، وإمساكه عن المندوب إليه فقد يقال فيه شرٌّ؛ بالنسبة إلى ما فوَّت الممسك على نفسه من الخير. «المفهم» (٩/ ٥١).

(٢) فيه تقديم نفقة نفسه وعياله لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم، وفيه الابتداء بالأهم فالأهم. «شرح مسلم» (٧/ ١٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٣٦).

(٤) قاله النووي في «شرح مسلم» (٧/ ١٢٤)..

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»**(١).

فَمَن رَضِيَ بِقَضاءِ اللهِ، قَرُبَ مِنْهُ، وَذَاقَ طُمَأْنِينَةَ القَلْبِ، وَأُكْرِمَ بِرِضَا اللهِ عَنْهُ.

بَلْ إِنَّ الرِّضَا سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ، وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

الرِّضَا يُحَوِّلُ المِحَنَ إِلَى مِنَحٍ.

حِينَ يَرْضَى العَبْدُ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ، حَتَّى فِي أَشَدِّ الِابْتِلَاءَاتِ، تَتَحَوَّلُ تِلْكَ المِحَنُ مِنْ مَصْدَرِ أَلَمٍ إِلَى مَنَحٍ رَبَّانِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، مِنْهَا:

مَنَحَةُ القُرْبِ مِنَ اللهِ: فَالرِّضَا يُقَرِّبُ العَبْدَ مِنْ رَبِّهِ، وَيَجْعَلُهُ فِي مَعِيَّتِهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨)، وَهذِهِ الآيَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُحْسِنُونَ فِي كُلِّ حَالٍ، حَتَّى فِي المِحَنِ وَالابْتِلَاءَاتِ، وَالقُرْبُ مِنَ اللهِ يَتَحَقَّقُ بِفَضْلِ التَّقْوَى، وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ، وَهُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مِنْحَةٌ عَظِيمَةٌ.

---

(١) حسن لغيره تقدم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣)، فِي هذِهِ الآيَةِ، يُظْهِرُ اللهُ أَنَّ مَن يَتَّقِي اللهَ وَيَصْبِرُ عَلَى الِابْتِلَاءَاتِ، يَمْنَحُهُ اللهُ مَخْرَجًا وَرِزْقًا غَيْرَ مُتَوَقَّعٍ، وَهذِهِ مِنْحَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللهِ تَجْعَلُ المِحَنَ تَتَحَوَّلُ إِلَى مِنَحٍ.

وَمِنْحَةُ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ: فَلَا جَزَعَ وَلَا قَلَقَ، بَلْ قَلْبٌ سَاكِنٌ مُطْمَئِنٌّ بِوَعْدِ اللهِ، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٦).

فَهذِهِ الآيَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَقِّبُ العُسْرَ بِاليُسْرِ، وَهذِهِ حَقِيقَةٌ تُؤَكِّدُ أَنَّ المِحَنَ فِي النِّهَايَةِ تَتَحَوَّلُ إِلَى مَنَحٍ، وَلَا يَكُونُ العُسْرُ دَائِمًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ (الرعد: ٢٨).

فَهذِهِ الآيَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ ذِكْرَ اللهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ يُحَقِّقُ الطُّمَأْنِينَةَ فِي القَلْبِ، وَيُحَوِّلُ الهُمُومَ إِلَى سَلَامٍ دَاخِلِيٍّ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ مَنَحَةِ الرِّضَا.

مَنَحَةُ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ: فَكُلُّ لَحْظَةِ صَبْرٍ وَرِضَا تُكْتَبُ فِي مِيزَانِ الحَسَنَاتِ.
مَنَحَةُ الحِكْمَةِ وَالبَصِيرَةِ: يَرَى العَبْدُ الرَّاضِي بِمَا قُدِّرَ لَهُ مَا لَا يَرَاهُ أَهْلُ السَّخَطِ، وَيَفْهَمُ الحِكْمَةَ فِي الِابْتِلَاءِ.

فَعَنْ صَهيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

فَاللهُ يُطَهِّرُ العَبْدَ بِالمِحَنِ، وَيُهَذِّبُ نَفْسَهُ، وَيَرْفَعُ مَقَامَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وكما في قوله ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٢).

وَكُلُّ ذَلِكَ يَبْعَثُ السَّعَادَةَ الرُّوحِيَّةَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَفِي الآخِرَةِ. فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا مُطْمَئِنًّا القَلْبِ هَادِئَ البَالِ.

وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ: فَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ.

س: مَا الوَسَائِلُ العَمَلِيَّةُ التِي تَعِينُ عَلَى تَحقِيقِ الرِّضَا فِي القَلبِ؟!

الجَوَابُ:

لِتَحْقِيقِ الرِّضَا فِي القَلْبِ – أَيِ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ وَالتَّسْلِيمِ لِقَضَاءِ اللهِ –

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) حسن لغيره تقدم.

تَوْجَدُ عِدَّةُ وَسَائِلَ عَمَلِيَّةٍ يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَهَا، وَهِيَ تَجْمَعُ بَيْنَ العِبَادَاتِ، وَالتَّفَكُّرِ، وَالعَمَلِ القَلْبِيِّ، وَإِصْلَاحِ النَّظْرَةِ إِلَى الحَيَاةِ.

وَمِنْ أَهَمِّ الوَسَائِلِ العَمَلِيَّةِ:

وَذَلِكَ بِأَنْ تُوقِنَ أَنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ لَكَ هُوَ بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّهُ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا هُوَ ﷻ، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة:٢١٦).

وَعَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بن الصامت، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِالله حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وغيره بإسناد حسن.

قالَ المُبارَكفُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِيهِ حَثٌّ عَلَى التَّوَكُّلِ وَالرِّضَاءِ، وَنَفْيُ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَمُلاَزَمَةِ القَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى المَصَائِبِ(١).

وَمِنَ الوَسَائِلِ العَمَلِيَّةِ: كَثْرَةُ الذِّكْرِ، وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ.

كَالمُواظَبَةِ عَلَى أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، وَقَوْلِ: «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا» عند سماع الأذان.

وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

فَالذِّكْرُ يُطَهِّرُ القَلْبَ وَيُثَبِّتُهُ، وَالِاسْتِغْفَارُ يُفَرِّجُ الهَمَّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وَأَنْ تَجْعَلَ لَكَ وَرْدًا يَوْمِيًّا مِنَ الذِّكْرِ مِثْلَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...» مِائَةَ مَرَّةٍ، وَ«سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ» مِائَةَ مَرَّةٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الأَذْكَارِ.

وَمِنَ الوَسَائِلِ العَمَلِيَّةِ: الصَّلَاةُ وَتَدَبُّرُ القُرْآنِ.

فَالصَّلَاةُ صِلَةٌ مُبَاشِرَةٌ بِاللهِ، وَفِيهَا رَاحَةٌ وَطُمَأْنِينَةٌ.

وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ بِتَدَبُّرٍ تُعِينُ عَلَى تَسْكِينِ النَّفْسِ وَتَوْسِيعِ الأُفُقِ.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٥/ ٨٧).

فَيَفْزَعُ الإِنْسَانُ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الضِّيقِ.

فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قَامَ يُصَلِّي وَيَدْعُو رَبَّهُ، فَعَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **«اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»**، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال:٩)...»[١].

وكذلك ابراهيم ﷺ لما دخل قرية فيها جبار هو وامرأته سارة وأرادها الجبار، ففيه «**فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٠).

وَمِنْهَا: الشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ وَتَذَكُّرُ مَا لَدَيْكَ.

لِأَنَّ الرِّضَا يَنْمُو حِينَ تَرَى مَا تَمْلِكُ لَا مَا يَنْقُصُكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إِبْرَاهِيم: ٧).

وَلَوْ أَنَّ الإِنْسَانَ جَعَلَ يَكْتُبُ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ يَوْمِيًّا لَشَعَرَ بِمِنَّةِ اللهِ ﷻ عَلَيْهِ.

وَمِنْهَا: الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

فَالجُلُوسُ مَعَ مَنْ يُذَكِّرُكَ بِاللهِ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُهَوِّنُ المَصَاعِبَ.

فَاحْرِصْ عَلَى مَجْلِسِ عِلْمٍ، أَوْ صَدِيقٍ صَالِحٍ يُذَكِّرُكَ بِالآخِرَةِ.

فَقَدْ قَالَ ﷺ: **«وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**(١).

وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«المَرْءُ عَلى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، وبعض أصحاب السنن، وإسحاق في «مسنده» (٣٥١)، والطيالسي (٢٦٩٦)، من طريق موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وكَيْرِ الحَدَّادِ لَا يَعْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا أَنْ تَشْتَرِيهُ أَوْ تَجِدَ رِيحَهُ وَكَيْرُ الحَدَّادِ يَحْرِق يَدَيْكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَة**»(١).

والنَّفْسُ مِنْ شَأنِها التشبُّهُ والمحاكاةُ بِصِفاتِ مَنْ يَقُودُها، فَصَحْبةُ الغافِلينَ مُعِينةٌ لها على وجودِ الغفلةِ، وصحبة الصالحين معينة على وجود الصلاح.

وكلُّ ألفٍ يلوفُ بإلفِه، والطيورُ على أشكالِها تقعُ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**الأرواح جُنُودٌ مجنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»(٢).

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ الصَّادِقُ.

وَذَلِكَ بِأَنْ تَدْعُوَ اللهَ أَنْ يَرْزُقَكَ الرِّضَا، فَكُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي رَاضِيًا بِمَا قَسَمْتَ لِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ فَائِتٍ بِخَيْرٍ».

وَمِنْهَا: النَّظَرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ فِي الدُّنْيَا.

فَإِنَّ هَذَا يُخَفِّفُ مِنَ الشُّعُورِ بِالنَّقْصِ أَوِ المُقَارَنَةِ.

قَالَ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ - عَلَيْكُمْ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨).

العَمَلُ وَالانْشِغَالُ بِمَا يُفِيدُ.

الفَرَاغُ يُوَلِّدُ الهَمَّ، وَالعَمَلُ يَمْلَأُ النَّفْسَ رِضًا وَإِيجَابِيَّةً.

لاَسِيَّمَا طَالِبُ العِلْمِ، فَهُوَ مِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ، لِيُفَرِّغَ هِمَّتَهُ لِلطَّلَبِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الله بِتَعْلِيمِ النَّاسِ الدِّينَ، وَمَا آتَاهُ اللهُ رَضِيَ بِهِ وَقَنَعَ. وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ للصحابة: «**مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ: هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى(٣)، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى(٤)، وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالًا تَلَفًا**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦١) من حديث عَمْرو بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) يكفي عن سؤال الناس.

(٤) لأن قليلها يلهى عن كثير من الآخرة، فكيف بمن طلب كثيرها.

(٥) حسن: أخرجه الطيالسي (١٠٧٢)، وابن حبان (٨/ ١٢١)، وغيرهما بسند حسن.

القَنَاعَةُ وَالرِّضَا بِاليَسِيرِ خَيْرٌ مِنَ الطَّمَعِ، وَالحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا بِالنَّظَرِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ.

التَّفَكُّرُ فِي النِعَمِ التي حُرِمَ غَيْرُكَ مِنْهَا: مِثْلَ الصِّحَّةِ، أَوِ الأَمْنِ، أَوِ البَصَرِ، أَوْ...

وَمِنْ تِلْكَ الوَسَائِلِ التي تعين على ذلك: زِيَارَةُ مَرِيضٍ، أَوْ مُحْتَاجٍ يُذَكِّرُكَ بِنِعْمَةِ مَا لَدَيْكَ.

س: كَيفَ يُرَبَّى الإِنسَانُ عَلَى الرِّضَا فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ؟

الجَوَابُ:

تَرْبِيَةُ الإِنْسَانِ عَلَى الرِّضَا تَمُرُّ بِمَرَاحِلَ مُتَدَرِّجَةٍ، تَتَنَاسَبُ مَعَ نُضْجِهِ العَقْلِيِّ وَالعَاطِفِيِّ، وَتُبْنَى عَلَى الوَعْيِ، وَالقِيَمِ، وَالإِيمَانِ، وَالتَّجْرِبَةِ.

وَلَكِنْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُرَبَّى الإِنْسَانُ عَلَى الرِّضَا فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ:

الأولى: مَرحَلَةُ الطفُولَةِ (مِنَ الميلادِ حَتَّى البُلوغِ).

الأَسَاسُ التَّرْبَوِيُّ :هَذِهِ المَرْحَلَةَ يَغْلِبُ فِيهَا الجَانِبُ العَاطِفِيُّ وَالتَّلْقِينِيُّ.

وَمِنَ الوَسَائِلِ:

القُدْوَةُ: أَنْ يَرَى الطِّفْلُ وَالِدَيْهِ رَاضِيَيْنِ فِي مَوَاقِفِ الحَيَاةِ الْمُخْتَلِفَةِ.

الحَدُّ مِنَ الْمُقَارَنَةِ: عَدَمُ مُقَارَنَةِ الطِّفْلِ بِغَيْرِهِ حَتَّى لَا يَتَوَلَّدَ شُعُورٌ بِالنَّقْصِ أَوِ الحَسَدِ.

تَعْلِيمُ الشُّكْرِ: تَدْرِيبُهُ عَلَى الِامْتِنَانِ لِمَا لَدَيْهِ وَلَوْ كَانَ بَسِيطًا.

تَقَبُّلُ الفَشَلِ وَالإِحْبَاطِ: تَعْلِيمُهُ أَنَّ الخَسَارَةَ جُزْءٌ طَبِيعِيٌّ مِنَ الحَيَاةِ.

المَرحَلَةُ الثَّانِيَةُ: مَرْحَلَةُ مَا بَيْنَ البُلُوغِ حَتَّى أَوَائِلِ العِشْرِينَاتِ - وَهِيَ مَا يُسَمُّونَهُ بِمَرْحَلَةِ المُرَاهَقَةِ.-

تَبْدَأُ تَسَاؤُلَاتٌ كُبْرَى عَنِ العَدَالَةِ، وَالحَظِّ، وَالمَصِيرِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى حَوَارَاتٍ عَقْلِيَّةٍ وَمُقْنِعَةٍ، وَمِنْ وَسَائِلِ ذَلِكَ:

* تَعْزِيزُ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ: شَرْحُ مَعْنَى القَضَاءِ وَالقَدَرِ بِطَرِيقَةٍ بَسِيطَةٍ عَقْلِيَّةٍ مُتَوَازِنَةٍ.

* التَّوْجِيهُ لِلْمَعْنَى الحَقِيقِيِّ لِلنَّجَاحِ: وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَى النَّجَاحِ الشُّهْرَةُ أَوِ المَالُ.

* فَتْحُ مَسَاحَاتٍ لِلْحَدِيثِ عَمَّا يَشْعُرُ بِهِ، لِيُعَبِّرَ عَنْ عَدَمِ رِضَاهُ وَيَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَهُ.

* التَّدْرِيبُ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّدَرُّجِ، لِأَنَّ الرِّضَا لَا يَعْنِي مُجَرَّدَ السُّكُونِ بَلِ القَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّعَامُلِ الإِيْجَابِيِّ مَعَ الوَاقِعِ، وَمَا فِيهِ.

الثَّالِثَةُ: مَرْحَلَةُ الشَّبَابِ وَالرُّشْدِ - مُنْتَصَفُ العِشْرِينَاتِ حَتَّى الأَرْبَعِينَ تَقْرِيبًا.-

تَبْدَأُ الحَيَاةُ العَمَلِيَّةُ، وَتَزْدَادُ الضُّغُوطُ وَالتَّحَدِّيَاتُ، وَيَحْتَاجُ الرِّضَا إِلَى وَعْيٍ نَاضِجٍ، وَإِيمَانٍ بِاللهِ ﷻ.

وَمِنْ وَسَائِلِ ذَلِكَ:

* تَبَنِّي السَّعْيِ ثُمَّ الرِّضَا: بِمَعْنَى أَنِّي أَسْعَى وَأَعْمَلُ، ثُمَّ أَرْضَى بِمَا قُسِمَ لِي.
* التَّرْبِيَةُ عَلَى التَّوَكُّلِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ التَّوَاكُلِ وَالرِّضَا الحَقِيقِيِّ.
* مُشَارَكَةُ قِصَصِ الصَّالِحِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالمُعَاصِرِينَ.
* الحَدِيثُ عَنِ النِّعَمِ لاَ النِّقَمِ.
* تَعْلِيمُ أَنَّ الرِّضَا لاَ يُنَافِي السَّعْيَ لِلتَّغْيِيرِ، بَلْ يُوَازِنُ بَيْنَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ وَالتَّسْلِيمِ لِلنَّتَائِجِ.

الرَّابِعَةُ: مَرْحَلَةُ النُّضْجِ وَالشَّيْخُوخَةِ - مَا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ -.

يَغْلِبُ الجَانِبُ التَّأَمُّلِيُّ وَالرُّوحِيُّ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ، وَالرِّضَا يُصْبِحُ ضَرُورَةً لِلطُّمَأْنِينَةِ، وَقَدْ يَكُونُ مُتَرَتِّبًا عَلَى السَّابِقَةِ بِمَا حَصَّلَ مِنْ إِيمَانِيَّاتٍ وَعِلْمٍ عَنْ اللهِ ﷻ، أَوْ قَدْ يَحْصُلُ بِمَا مَارَسَ مِنَ التَّجَارِبِ الحَيَاتِيَّةِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

وَمِنْ وَسَائِلِ ذَلِكَ:

* تَعْزِيزُ الرِّضَا مِنْ خِلَالِ الإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ.

* اسْتِحْضَارُ النِّعَمِ الْمَاضِيَةِ وَالرِّضَا بِمُحْصَلَةِ الْحَيَاةِ.

* التَّخَفُّفُ مِنَ التَّعَلُّقَاتِ الزَّائِلَةِ كَالْمَالِ، وَالْمَنْصِبِ، وَالْمَظَاهِرِ.

* دَعْمُ الْعَلَاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ بِمَجَالِسِ الصَّالِحِينَ، فَالرِّضَا يَحْتَاجُ لِمَنْ يُذَكِّرُكَ بِالْخَيْرِ.

س: مَا أَثَرُ غِيَابِ الرِّضَا عَلَى الفَرْدِ وَالمُجتمَع؟

الجَوَابُ:

غِيَابُ الرِّضَا يُحْدِثُ آثَارًا خَطِيرَةً، لَيْسَ فَقَطْ عَلَى الْفَرْدِ، بَلْ عَلَى نَسِيجِ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ.

الرِّضَا لَيْسَ سُكُونًا سَلْبِيًّا، بَلْ هُوَ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ مُتَوَازِنَةٌ تُعِينُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْعَيْشِ بِسَلَامٍ دَاخِلِيٍّ رَغْمَ التَّحَدِّيَاتِ، وَعِنْدَ غِيَابِهِ، يَظْهَرُ الاضْطِرَابُ.

وَمِنْ تِلْكَ الْآثَارِ:

أَوَّلًا: أَثَرُ غِيَابِ الرِّضَا عَلَى الْفَرْدِ.

غِيَابُ الرِّضَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ يُحْدِثُ اضْطِرَابَاتٍ نَفْسِيَّةٍ، وَقَلَقًا دَائِمًا مِنَ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وَاكْتِئَابٌ نَاتِجٌ عَنْ عَدَمِ الِاكْتِفَاءِ أَوِ الْإِحْبَاطِ مِنَ الْوَاقِعِ.

وقَدْ يَكُونُ حَاسِدًا وَحَاقِدًا عَلَى الْآخَرِينَ مِمَّا آتَاهُمُ اللهُ ﷻ مِنْ فَضْلِهِ، بِسَبَبِ الْمُقَارَنَةِ وَالشُّعُورِ بِالنَّقْصِ.

وَاللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٥٤).

* غِيَابُ الرِّضَا يُحْبِطُ الْعَزِيمَةَ، لِأَنَّ الشَّخْصَ يَرَى أَنَّ جُهْدَهُ لَا يُثْمِرُ، فَيَفْقِدُ الْحَمَاسَ لِلْعَمَلِ.

* الشَّخْصُ غَيْرُ الرَّاضِي لَا يُثْبِتُ عَلَى قَنَاعَةٍ، وَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ خِيَارَاتٍ مُتَنَاقِضَةٍ.

* يَشْعُرُ دَوْمًا أَنَّهُ فِي الْمَكَانِ الْخَطَأِ، أَوْ مَعَ الْأَشْخَاصِ الْخَطَأِ، فَيَفْقِدُ السَّلَامَ الدَّاخِلِيَّ.

* غِيَابُ الرِّضَا بِالْقَدَرِ أَوْ بِالنَّصِيبِ يَخْلُقُ نَوْعًا مِنَ الْاعْتِرَاضِ الدَّاخِلِيِّ عَلَى حِكْمَةِ اللهِ.

* ضَعْفُ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِسْلَامِ لله، مِمَّا يُفْقِدُ الْإِنْسَانَ الطُّمَأْنِينَةَ الرُّوحِيَّةَ.

ثانيًا: أثر غياب الرضا على المجتمع.

* غِيَابُ الرِّضَا فِي الْمُجْتَمَعِ يُحْدِثُ تَفَكُّكًا اجْتِمَاعِيًّا.

* يَكْثُرُ الْحَسَدُ، وَالْغِلُّ، وَالتَّنَافُسُ الْمَرَضِيُّ بَيْنَ النَّاسِ.

* ضَعْفُ الثِّقَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، لِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَرَى أَنَّ الْآخَرِينَ نَالُوا أَكْثَرَ مِنْهُ – ظُلْمًا– بِزَعْمِهِمْ.

* ارْتِفَاعُ مُعَدَّلَاتِ الْجَرِيمَةِ وَالِانْحِرَافِ.

* الشَّخْصُ غَيْرُ الرَّاضِي قَدْ يَسْلُكُ طُرُقًا غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يَشْعُرُ أَنَّهُ –حَقُّهُ– بِرَشْوَةٍ أَوْ بِسَرِقَةٍ أَوْ بِنَحْوِ ذَلِكَ.

* انْتِشَارُ الْكَرَاهِيَةِ الطَّبَقِيَّةِ وَالشُّعُورِ بِالظُّلْمِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ وَطَبَقَاتِهِ.

* قَدْ يَنْعَكِسُ ذَلِكَ فِي احْتِجَاجَاتٍ، تَمَرُّدٍ، أَوْ انْهِيَارٍ فِي الثِّقَةِ بِالْمُؤَسَّسَاتِ الْبَلَدِ، حَتَّى يَصِلَ الْأَمْرُ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْحُكَّامِ سَواءٌ كَانَ بِالْكَلِمَةِ أَوْ السِّلَاحِ.

س: ما الفرق بين الرضا السلبي – الاستسلام للواقع دون محاولة تغيير–، والرضا الإيماني – القبول بقضاء الله مع السعي –؟

الجواب:

أَوَّلًا: الرِّضَا الإيمانيُّ: هُوَ رِضًا نَابِعٌ مِنَ الإيمَانِ بِاللهِ، وَالثِّقَةِ بِحِكْمَتِهِ، مَعَ الْعَمَلِ وَالسَّعْيِ وَالأَخْذِ بِالأَسْبَابِ.

يَعْنِي الْقُبُولَ الْقَلْبِيَّ لِمَا لا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهُ، دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفَ الْإِنْسَانُ عَنِ السَّعْيِ.

* يَرْتَكِزُ عَلَى التَّوَكُّلِ، لا التَّوَاكُلِ.

* يَزْرَعُ الطُّمَأْنِينَةَ، وَالسَّكِينَةَ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

* لا يَمْنَعُ مِنَ الاعْتِرَاضِ الْمَشْرُوعِ أَوِ الْإِصْلَاحِ، لَكِنَّهُ يُسَلِّمُ بِمَا خَرَجَ عَنِ الْإِرَادَةِ بَعْدَ بَذْلِ الْجُهْدِ.

مِثَالٌ: شَخْصٌ اجْتَهَدَ فِي دِرَاسَتِهِ وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى الْمَجْمُوعِ الَّذِي كَانَ يُرِيدُهُ، لَكِنَّهُ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ، اجْتَهَدْتُ، وَاللهُ قَدَّرَ لِي هَذَا، وَسَأَسْعَى مِنْ جَدِيدٍ.

ثَانِيًا: الرِّضَا السَّلْبِيُّ: وَهُوَ حَالَةٌ مِنَ الاسْتِسْلَامِ السَّلْبِيِّ لِلْوَاقِعِ دُونَ سَعْيٍ أَوْ مُحَاوَلَةٍ لِلتَّغْيِيرِ، وَيُغَطِّي هَذَا أَحْيَانًا بِشِعَارَاتٍ مِثْلَ «هَذَا قَدَرِي»، وَلَكِنَّهَا تُقَالُ تَهَرُّبًا مِنَ الْمَسْؤُولِيَّةِ.

ومن مثالبه:

* يُؤَدِّي إِلَى الْكَسَلِ وَالْجُمُودِ.

* يُسْتَخْدَمُ أَحْيَانًا كَعُذْرٍ لِتَرْكِ الْمُحَاوَلَةِ أَوْ تَبْرِيرِ الْفَشَلِ.

* يَقْتُلُ الطُّمُوحَ وَيَزْرَعُ الرِّضَا الزَّائِفَ بِالْوَاقِعِ الْمُؤْلِمِ.

* لَيْسَ نَاتِجًا عَنْ إِيمَانٍ أَوْ قَنَاعَةٍ، بَلْ عَنْ ضَعْفٍ أَوْ يَأْسٍ.

مِثَالٌ ذَلِكَ: شَخْصٌ يُعَانِي مِنْ ظُلْمٍ فِي الْعَمَلِ أَوْ فَقْرٍ شَدِيدٍ، لَكِنَّهُ لا يُحَاوِلُ إِصْلَاحَ وَضْعِهِ وَلَا يَسْعَى، وَيَقُولُ: «أَنَا رَاضٍ، لا فَائِدَةَ مِنَ السَّعْيِ».

وهذا جدول مقارنة بين الرضا الإيماني والسلبي.

المقارنة	الرضا الإيماني	الرضا السلبي
المنطلق	إيمان وثقة بالله	ضعف أو يأس
موقفه من العمل	يسعى ويأخذ بالأسباب ويرضى بالنتائج	لا يسعى ويبرر تقاعسه
النتيجة النفسية	طمأنينة وقوة ةرضا	خمول وسلبية وتقاعس
علاقته بالواقع	غطاء للاستسلام والعجز	لا يمتّ للرضا الحقيقي بصلة

وَخَلَاصَتُهُ: أَنَّ الرِّضَا الإِيمَانُ: قُوَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الإِيمَانِ، تُعِينُ عَلَى السَّعْيِ وَالطُّمَأْنِينَةِ.

فالرِّضَا السَّلْبِيُّ غِطَاءٌ لِلاسْتِسْلَامِ وَالْعَجْزِ، لا يَمُتُّ لِلرِّضَا الْحَقِيقِيِّ بِصِلَةٍ.

س: ماذا على المسلم إذا وُلِيَ عليه إمام جائر لا يرضاه؟

الجواب:

عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ، فَهُوَ مِنْ تَقْدِيرِ الله ﷻ عَلَى عِبَادِهِ. وَإِلَيْكَ مَا قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما لما أُخْبِرَ أنه وُلِّيَ عليهم يزيد بن معاوية.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ حِيْنَ أَتَتْهُ بَيْعَةُ يَزِيْدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ: «إِنْ كَانَ خَيْراً رَضِيْنَا، وَإِنْ كَانَ بَلَاءً صَبَرْنَا».

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا»(١).

وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: **«وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ»** وهو حديث حسن تقدم.

تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ جِداً:

اِعْلَمْ أَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ وُلَاتُهَا عَلَى قَدْرِهَا.

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٥٧٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٣٨) وغيرهما من طرق عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن ابن عمر به.

فَمَن أَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ الله، رَزَقَهُ اللهُ بُوُلَاةٍ على قَدْرِهِ، وَمَن عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ، كَانَتْ وُلاَتُهُمْ عَلَى قَدْرِهِمْ، وَهَذِهِ سُنَّةُ الله فِي خَلْقِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَأَمَّلْ حِكْمَتَهُ تَعَالَى فِي تَسْلِيطِ الْعَدُوِّ عَلَى الْعِبَادِ إِذَا جَارَ قَوِيُّهُمْ عَلَى ضَعِيفِهِمْ، وَلَمْ يُؤْخَذْ لِلْمَظْلُومِ حَقُّهُ مِنْ ظَالِمِهِ، كَيْفَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَفْعَلُ بِهِمْ كَفِعْلِهِمْ بِرَعَايَاهُمْ وَضُعَفَائِهِمْ سَوَاءً.

وَهَذِهِ سُنَّةُ الله تَعَالَى مُنذُ قَامَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تُطْوَى الأَرْضُ وَيُعِيدَهَا كَمَا بَدَأَهَا. وَتَأَمَّلْ حِكْمَتَهُ تَعَالَى فِي أَنْ جَعَلَ مُلُوكَ الْعِبَادِ وَأُمَرَاءَهُمْ وَوُلَاتِهِمْ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ، بَلْ كَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ ظَهَرَتْ فِي صُوَرِ وُلَاتِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ.

فَإِنِ اسْتَقَامُوا اسْتَقَامَتْ مُلُوكُهُمْ، وَإِنْ عَدَلُوا عَدَلَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ جَارُوا جَارَتْ مُلُوكُهُمْ وَوُلَاتُهُمْ، وَإِنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَكْرُ وَالْخِدْعَةُ فَوُلَاتُهُمْ كَذَلِكَ، وَإِنْ مَنَعُوا حُقُوقَ الله لَدَيْهِمْ وَبَخِلُوا بِهَا مَنَعَتْ مُلُوكُهُمْ وَوُلَاتُهُمْ مَا لَهُمْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَنَحَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ أَخَذُوا مِمَّنْ يَسْتَضْعِفُونَهُ مَالًا لَا يَسْتَحِقُّونَهُ فِي مَعَامَلَتِهِمْ أخِذَ مِنْهُمُ الْمُلُوكُ مَالًا لَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَضُرِبَ عَلَيْهِمُ الْمَكُوسُ وَالْوَظَائِفُ، وَكُلَّمَا يُسْتَخْرِجُونَهُ مِنَ الضَّعِيفِ يَسْتَخْرِجُهُ الْمُلُوكُ مِنْهُمْ بِالْقُوَّةِ. فَأَعْمَالُهُمْ ظَهَرَتْ فِي صُوَرِ أَعْمَالِهِمْ، وَلَيْسَ فِي الْحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ أَنْ يُوْلَى عَلَى

الْأَشْرَارِ الْفُجَّارِ إِلَّا مَنْ يَكُونُ مِنْ جِنْسِهِمْ. وَلَمَّا كَانَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ خِيَارَ الْقُرُونِ وَأَبْرَاهَا كَانَتْ وُلَاتُهُمْ كَذَلِكَ، فَلَمَّا شَابُوا شَابَتْ لَهُمْ الْوُلَاةُ.

فَحِكْمَةُ الله تَأْبَى أَنْ يُولِيَ عَلَيْنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَزْمَانِ مِثْلَ مُعَاوِيَةَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَضْلًا عَنْ مِثْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، بَلْ وُلَاتُنَا عَلَى قَدَرِنَا، وَوُلَاةٌ مِنْ قَبْلِنَا عَلَى قَدَرِهِمْ(١).

س: ما علاقة التوكل بالرضا؟

الجواب:

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَة رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرِّضَا والتوكُّلُ يَكْتنِفَانِ الْمَقْدُورَ، فَالتَّوَكُّلُ قَبْلَ وُقُوعِهِ وَالرِّضَاءُ بعدَ وُقُوعِهِ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِي ﷺ يَقُول فِي الصَّلَاة **«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ والعَدْل فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ**

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٣).

مُضِلَّةِ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» رَوَاهُ أَحْمد وَالنَّسَائِيّ من حَدِيث عمار بن يَاسر(١).

وَأما مَا يكون قبل الْقَضَاء فَهُوَ عزم على الرِّضَا لَا حَقِيقَة للرِّضَا وَلِهَذَا كَانَ طَائِفَة من الْمَشَايِخ يعزمون على الرِّضَا قبل وُقُوع الْبلَاء فَإِذا وَقع انفسحت عزائمهم كَمَا يَقع نَحْو ذَلِك فِي الصَّبْر وَغَيره(٢).

فَإِذَا وَضَعَ العَبْدُ قَدَمَهُ فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ –التوكل– انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى دَرَجَةِ الرِّضَا.

وَهِيَ ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ، وَمَنْ فَسَّرَ التَّوَكُّلَ بِهَا فَإِنَّمَا فَسَّرَهُ بِأَجَلِّ ثَمَرَاتِهِ، وَأَعْظَمِ فَوَائِدِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَوَكَّلَ حَقَّ التَّوَكُّلِ رَضِيَ بِمَا يَفْعَلُهُ وَكِيلُهُ.

وَكَانَ شَيْخُنَا(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: الْمَقْدُورُ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ: التَّوَكُّلُ قَبْلَهُ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَرَضِيَ بِالْمَقْضِيِّ لَهُ بَعْدَ الْفِعْلِ فَقَدْ قَامَ بِالْعُبُودِيَّةِ، أَوْ مَعْنَى هَذَا.

قُلْتُ: وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ الِاسْتِخَارَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ**». فَهَذَا

---

(١) وهو حديث ثابت.

(٢) «أمراض القلب وشفاؤها» (ص٥٣).

(٣) شيخه أظنه عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، والله أعلم.

تَوَكُّلٌ وَتَفْوِيضٌ، ثُمَّ قَالَ: «**فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**».

فَهَذَا تَبَرُّؤٌ إِلَى الله مِنْ الْعِلْمِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ مَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِهَا الْمُتَوَسِّلُونَ، ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، وَأَنْ يَصْرِفَهُ عَنْهُ إِنْ كَانَ فِيهِ مَضَرَّتُهُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، فَهَذَا هُوَ حَاجَتُهُ الَّتِي سَأَلَهَا، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا الرِّضَا بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ، فَقَالَ: «وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»(١).

لذا قال غَيْلَان بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ الرِّضَا وَالتَّوَكُّلَ وَالتَّفْوِيضَ فَقَدْ كُفِيَ».

وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّار(٢): «سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ أَوْعِيَةَ الذِّكْرِ وَقُلُوبَ أَهْلِ الدُّنْيَا أَوْعِيَةَ الطَّمَعِ، وَقُلُوبَ الزَّاهِدِينَ أَوْعِيَةَ التَّوَكُّلِ، وَقُلُوبَ الْفُقَرَاءِ أَوْعِيَةَ الْقَنَاعَةِ، وَقُلُوبَ الْمُتَوَكِّلِينَ أَوْعِيَةَ الرِّضَا»(٣).

---

(١) قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (٢/ ١٢٢).

(٢) الوَاعِظُ، البَلِيْغُ، الصَّالِحُ، الرَّبَانِيُّ، أَبُو السَّرِيِّ السُّلَمِيُّ، الخُرَاسَانِيُّ - وَقِيْلَ: البَصْرِيُّ - كَانَ عَدِيْمَ النَّظِيْرِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّذكِيْرِ.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٠١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَنَا ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ وَخَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا لَامَنِي لَائِمٌ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا قَالَ: **«دَعُوهُ فَإِنَّهُ لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ كَانَ»**(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَاءِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى الله، قَالَتْ: رَضِيتُ بِالله ... »(٢).

فَهذا غايَةُ الرِّضا بالله، والتَّوكُّلِ عَلَيهِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا» (٤) حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْمَلِيحِ، قَالَ: حَدَّثَنَا فُرَاتُ بْنُ سَلْمَانَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ به.

وفرات بن سلمان هو الرقي كذا في شيوخ أبي المليح، وثقه أحمد وقال ابن عدي:لم أر المتقدمين صرحوا بضعفه وأرجو أنه لا بأس به لأني لم أر في روايته حديثًا منكرا، فالسند صحيح رجاله ثقات على هذا.

لكن لا أدري أسمع من أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أم لا فلم يتكلم أحد في سماعه من عدمه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٥).

وعن الْفَيْض بْن إِسْحَاقَ[١]، قَالَ: قُلْتُ لِلْفُضَيْلِ: «تَحُدُّ لِي التَّوَكُّلَ؟ قَالَ: آهٍ، كَيْفَ تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ تَخْتَارُ لَكَ، فَتَسْخَطُ قَضَاءَهُ، أَرَأَيْتَ لَوْ دَخَلْتَ بَيْتَكَ، فَوَجَدْتَ امْرَأَتَكَ قَدْ عَمِيَتْ، وَابْنَتُكَ قَدْ أُقْعِدَتْ، وَأَنْتَ قَدْ أَصَابَكَ الْفَالِجُ[٢]، كَيْفَ كَانَ رِضَاكَ بِقَضَائِهِ؟ قُلْتُ: كُنْتُ أَخَافُ أَلَّا أَصْبِرَ. قَالَ: فَكَيْفَ لَا، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَكَ وَاحِدًا تَرْضَى بِكُلِّ مَا صَنَعَ فِي الْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ، لَا تَسْخَطُ عَلَى مَا زَوَى عَنْكَ، وَتَثِقُ بِمَا آتَاكَ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ رَجُلًا قَدْ سَمَّاهُ قَالَ: إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ فِي سُجُودِي: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ»[٣].

س: اذكر عاقبة أهل الرضا عند الله؟

الجواب:

الطُّمأنينَةُ والسَّكينَةُ في الدُّنيا، والسَّلامَةُ مِنَ الحَسَراتِ.

---

(١) خادم الفُضَيْل بن عِياض، وَيُكْنَى أَبَا يَزِيدَ، مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ، وَكَانَ صَاحِبَ حَدِيثٍ وَخَيْرٍ وَغَزْوٍ، مَاتَ بِالرَّقَّةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، فِي خِلَافَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ هَارُونَ.

(٢) رِيحٌ تأخذ الإنسان، يرتعشُ منها، وصاحبه مفلوج. كما في «العين للفراهيدي» (٦/ ١٢٧).

(٣) لا بأس به: أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» (١٥).

فمَن رَضيَ بِقَدَرِ الله عاشَ ساكِنَ النَّفْسِ مُطْمَئِنَّ القَلْبِ، بَعيدًا عَنِ السَّخَطِ وَالجَزَعِ وَالقَلَقِ، قالَ ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(١).

مَحَبَّةُ اللهِ وَرِضاهُ عَن عَبدِهِ.

لَمّا رَضيَ الصَّحابَةُ رضي الله عنهم عَنِ اللهِ ﷻ ، رَضيَ اللهُ عَنهُم وَأَرْضاهم، فَقالَ ﷻ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة:١١٩).

وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧).

فالدُّخولَ فِي الرِّضَا شَرْطٌ فِي رُجُوعِ النَّفْسِ إِلَى رَبِّهَا، فَلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ رَاضِيَةً.

وَإِنَّ هَذَا الرُّجُوعَ الَّذِي حَصَلَ لَهَا فِيهِ رِضَاهَا وَالرِّضَا عَنْهَا، إِنَّمَا نَالَتْهُ بِالطُّمَأْنِينَةِ، وَهُوَ حَظُّ الْكَسْبِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ(٢).

الجَنَّةُ جَزَاءُ الرَّاضِينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) قاله ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿٢٢﴾﴾ (التوبة).

وَعَنْ كَعْب بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يُخَاطِبُهُ عَنْ سَبَبِ تَخَلُّفِهِ عَنِ الْغَزْوَةِ، وَتَحَيَّرَ كَيْفَ يَخْرُجُ مِنْ سَخَطِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**يَا رَسُولَ الله إِنِّي وَالله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله ...** » الحديث[1].

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الفهرس

مقدمة المؤلف..... ٣
س: عرف الرضا لغة واصطلاحاً؟..... ٧
س: ما أركان الرضا؟..... ٨
س: ما الفرق بين الرضا والتسليم والقبول؟..... ٨
س: اذكر طرفاً من الأدلة من القرآن والسنة على الرضا؟..... ٩
.س: اذكر مكانة الرضا في الإسلام؟..... ١٣
مكانة الرضا في القرأن الكريم:..... ١٤
مكانةُ الرِّضا في السُّنَّةِ:..... ١٧
س: مَا حُكْمُ الرِّضَا؟..... ٢٠
س: مَا الْحِكْمَةُ فِي اسْتِحْبَابِهِ وَعَدَمِ إِيجَابِهِ عَلَى الْعَبْدِ؟..... ٢١
س: هَلِ الرِّضا مَنْزِلَةٌ مِن مَنازِلِ الإيمانِ، وَكَيفَ وَصَفَها العُلَماءُ؟..... ٢٢
س: اذكر درجات الرضا؟..... ٢٤
الدَّرَجَةُ الْأُولَى: رِضَا الْعَامَّةِ:..... ٢٤

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الرِّضَا عَنِ اللهِ:..... ٢٨
الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الرِّضَا بِرِضَا اللهِ:..... ٣١
س: اذكر مُلخَّصَ مُقارنةٍ بين دَرَجاتِ الرِّضا السّابِق ذِكرُها؟ الجواب:..... ٣٢
س: هَلِ الرِّضا مِمَّا يَكْتَسِبُهُ الإِنسانُ، أَم لا يَكونُ إِلَّا مَوْهُوبًا مِنَ اللهِ؟ ٣٥
س: اذْكُرْ أَنْوَاعَ الرِّضَا؟..... ٣٩
س: ما رِضا العَبدِ عَنِ اللهِ، ورِضا اللهِ عَنِ العَبدِ؟..... ٣٩
س: مَا أَنْواعُ الرِّضا بِاعْتِبارِ ما يَتَعَلَّقُ بالرِّضا نَفْسِهِ؟..... ٤١
س: اذكُر أنواعَ الرِّضا بِحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ؟..... ٥٢
س: اذكُرْ أَنْواعَ الرِّضا بِحَسَبِ حالِ العَبدِ؟..... ٥٤
س: ما حُكمُ طَلَبِ رِضا النَّاسِ؟..... ٥٨
س: اذْكُرْ أَسْبَابَ حُصُولِ الرِّضَا – المُكْتَسَبَةِ – أَوْ وَسَائِلَ تَحْقِيقِ الرِّضَا؟
الجَوَابُ :أ..... ٦٤
أَمَّا الأَسْبَابُ القَلْبِيَّةُ الإِيمَانِيَّةُ:..... ٦٥
وَأَمَّا الأَسْبَابُ العَمَلِيَّةُ:..... ٦٦

س: اذْكُرْ آثَارَ الرِّضَا عَلَى العَبْدِ - ثَمَرَاتِ الرِّضَا -؟ ٦٦
س: اذكر درجات المؤمن بالقضاء والقدر في المصائب؟..... ٦٧
س: مَا الفَرْقُ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ؟ ٧٠
س: مَا حُكْمُ الرَّضَا عِنْدَ الْمَصَائِبِ والبَلَايَا؟ ٧٢
س: الشكر عند المصيبة هل هو واجب؟..... ٧٥
س: هل مِنْ شَرْطِ الرِّضَا أَلَّا يُحِسَّ العبدُ بِالْأَلَمِ وَالْمَكَارِهِ عند المصائب؟ ٧٥
س: هَلِ البُكَاءُ عَلَى المَيِّتِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الرِّضَا؟..... ٧٨
س: مَا حُكْمُ التَّسَخُّطِ عِندَ المُصِيبَةِ؟..... ٨١
س: ما حكم الرضا بما قسمه الله للعبد من الرزق؟..... ٨٤
س: ما علاج عدم الرضا بما قسمه الله للعبد؟..... ٩٠
س: ما ثمرة رضا العبد بما قسمه الله له من الرزق؟..... ٩٥
س: هل يمنع الرضا طلب الحظ من الدنيا؟..... ٩٧
س: ما علاقة الرضا بالقناعة والزهد؟..... ١٠٣
س: كيف يسهم الرضا في تهذيب النفس وتقوية الصلة بالله؟..... ١٠٦

س: هل الرضا ينافي الدعاء بتغيير الحال أو الشكوى إلى الله؟..... ١١٠

س: كيف يكون الرضا مفتاحا للسعادة الحقيقية في الحياة؟..... ١١٤

س: كَيْفَ يُرَبَّى الإِنْسَانُ عَلَى الرِّضَا فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ؟ الجَوَابُ..... ١٢٥

الأُولَى: مَرْحَلَةُ الطُّفُولَةِ (مِنَ المِيلَادِ حَتَّى البُلُوغِ.(..... ١٢٥

س: ما الفرق بين الرضا السلبي – الاستسلام للواقع دون محاولة تغيير–، والرضا الإيماني – القبول بقضاء الله مع السعي –؟..... ١٣٠

س: ماذا على المسلم إذا وَلِيَ عليه إمام جائر لا يرضاه؟ ١٣٣

س: ما علاقة التوكل بالرضا؟..... ١٣٥

س: اذكر عاقبة أهل الرضا عند الله؟..... ١٣٩

ما قام المؤلف بعمله من المؤلفات

- الإلمام بفقه التعامل مع الحكام.
- شرح الأصول الستة.
- شرح الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء.
- العزلة وذم الشهرة.
- ضابط السمع والطاعة لولاة الأمور.
- إتحاف النفوس بذكر أحكام التجسس والجاسوس.
- طلحة بن عبيد الله ﷺ سيرته ومناقبه.
- حذيفة بن اليمان وشيء من سيرته.
- عمار بن ياسر وشيء من سيرته.
- كشف الستر عن حكم الصلاة على الميت في القبر.
- جامع أحكام القصاص.
- التعليق على الفقه الميسر.
- المسائل الرضية على الدرر البهية للشوكاني.
- إرشاد الأخيار إلى الأدب مع الكبار.

- الفرق بين المبتدع المنحرف والمخطيء المجتهد.
- نهي عامة الأمة عن سب الحكام والأئمة.
- الأحكام المتعلقة بالسحرة والمنجمين والكهنة والعرافين.
- التعليق على المعتقد الصحيح للدكتور عبد السلام برجس.
- إنكار صدر هذه الأمة على الخارجين على الأئمة.
- تنبيه الجموع بأحكام التبرك المشروع والممنوع
- الجواب الهادي في بيان أخطاء الشعراوي.
- الكواكب المضية في شرح المنظومة البيقونية.
- منزلة الرفق في الشريعة الإسلامية.
- إعلام القاصدين بأحكام الظن بالله والمسلمين.
- إرشاد القلوب إلى أحكام التوكل على علام الغيوب.
- الفتوحات في مواطن البركة وطرق استجلاب البركات.
- تعريف ذوي الألباب ببدعية الاحتفال بهذه الأشياء – المولد النبوي، والهجرة، والإسراء والمعراج، عاشوراء –.
- الخشية والبكاء.
- الإيمان بالملائكة وما ذكر لنا من أسمائهم وأعمالهم.

كشف المستور عن ذم الشهرة وحب الظهور.

- ما ينتفع به الميت، وحكم قراءة القرآن على الأموات.

- الزواج العرفي في ميزان الشرع.

- إلقاء الضَّوء على فضائل الوضوء.

- حديث «حد الساحر ضربة بالسيف» رواية ودراية.

- الظلم أنواعه وأحكامه.

- شرح الأرجوزة الميئية.

- أقوال السلف فيما ينزل بأهل البدع.

- المختار في تعريف الحجيج والمعتمرين بما يجوز وما لا يجوز من الزيارات والتبرك ببعض الأماكن والأحجار.

- آداب شرب ماء زمزم.

- أقسام التوحيد والعلاقة بينها.

- سلسلة اليوم الآخر.

- تذكير الأخيار بما في الموت والاحتضار.

- تذكير المؤمنين بما في القبر من العذاب والنعيم.

- شفاء الصدور بذكر ما جاء في النفخ في الصور والبعث والنشور.

- رفع الأستار عن الحشر إلى أرض المحشر ودار القرار.
- الكواكب النيرة بذكر ما جاء في الشفاعة في الآخرة.
- تذكير الأخلاء بما في تطاير الصحف، والحساب والجزاء.
- فتح الرحمن بما ورد في الميزان.
- نثر الورود بذكر ما جاء في الحوض المورود.
- اعتقاد أهل السنة في الصراط.
- الإبانة بأحكام الغسل والجنابة.
- تيسير الفقه في سؤال وجواب.
- الخواتيم بين النعيم والجحيم، سوء الخاتمة وحسنها.
- سر الغنى في خلق الرضا.
- أنوار اليقين في زمن الحائرين.
- تحقيق «الجامع الفريد للأسئلة والأجوبةعلى كتاب التوحيد» للشيخ عبد الله بن جار الله بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.